

بوش يسقط في مستنقع العراق والصحة العالمية

سياسة عربية
كل الحقيقة للجماهير

AL-HADAF

الهدف



في حوار القاهرة

لنرسخ حقنا باتفاق وطني شامل

AL-HADAF - No. 1348 - 5/12/2003

ل. ١٠٠٠ - س. ٢٠ - الثمن ٢٠

العدد ١٣٤٨ - كانون أول (ديسمبر) ٢٠٠٣ - السنة الخامسة والثلاثون

الوطني في هذه المرحلة التاريخية الحساسة والحاسمة من نضالنا الوطني، والتي تحيك به المخاطر من كل حذب وصوب، ارتباطاً بالظروف الإقليمية والدولية التي تتميز بتفرد أمريكي لا نظير له في مستقبل البشرية، بالترابط الوثيق مع الأيديولوجية الصهيونية، والتي أفرزت نظرة واحدة لإعادة ترتيب المنطقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً لمصلحة خدمة المصالح والأفكار الصهيونية، واحكام السيطرة على عالمتنا العربي.

ومن هنا فنحن مدعوون لحوار وطني شامل ومسؤول وشفاف وواقعي وموضوعي، يأخذ كل العوامل والوقائع المحيطة بنضالنا الوطني بعين الاعتبار، لنتمكن من اشتقاق سياسة وطنية جامعة قادرة على وضع حد لسياسة التفرد والعبث والاستخدام المصلحي للحوارات الوطنية، والتي سيطرت لفترة طويلة من الزمن على ساحتنا الوطنية، ولنضع حداً لسياسة الخلاف والاختلاف والانصياع أحياناً كثيرة للشروط والاملاءات الخارجية، أملاً في الحصول على مكاسب سياسية موهومة، في ظل غياب وتغييب للمصلحة الوطنية العليا التي طالما تغنىنا بها.

ونحن في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونحن على أبواب الذكرى المئاسية والثلاثين لانطلاقنا، وهفاء منا للشهداء والقيم النبيلة التي قامت عليها ثورتنا، نذكر على ضرورة:-

١- الخروج بموقف وطني موحد وجامع من الحوار، بما يؤمن لنا تشكيل مرجعية وطنية مؤتمنة على قضيتنا وثوابتنا الوطنية.

٢- الإقلاع عن سياسة المراوغة والاستخدام للحوارات، لمصلحة اشتقاق استراتيجية وطنية كفاحية، قادرة على عزل شارون وحكومته، وتبيان حقيقة وجوهر نضالنا الوطني المشروع.

٣- الشروع الجدي في إصلاح كافة الأجهزة والمؤسسات الفلسطينية، وعلى رأسها م.ت.ف. والاحتكام لدستور عصري يؤمن مشاركة وطنية وشعبية أكبر لمختلف ألوان الطيف السياسي الفلسطيني، من خلال اعتماد قاعدة ومبدأ التمثيل النسبي في عملية الإصلاح الشاملة.

٤- الالتزام بتجديد رزنامة وطنية لمواعيد إجراء هذه الإصلاحات، والإقلاع عن التذرع بالاحتلال وإجراءاته لتبرير عدم شرونا في إجراء عملية الإصلاح الشاملة والجدرية، والتي تضع حداً للسياسات الخاطئة فلسطينياً على كل المستويات.

وأملنا كبير من قدرة مختلف القوى الفلسطينية من تبصر الأفاق الرحبة التي سيفتحها اتفاق وطني شامل على مختلف الصعد، بما يعزز من أفاق إعادة الاعتبار لمركزية قضيتنا وقدرتها على اجتذاب كل مناصري الحق والعدل والسلام والأمن والاستقرار في العالم، وبذلك نهدم الطريق لإمكانية هزيمة إسرائيل ومشاريعها ومخططاتها العدوانية.



لنرسخ حقنا

بالحرية والاستقلال

باتفاق وطني شامل

الحق الفلسطيني في الوطن والحرية والاستقلال، راسخ كالجبال، ساطع كالشمس، لا يمكن لأية قوة مهما بلغت أن تحجب هذه الحقيقة عن البشرية، التي بدأ العديد من شعوبها يتلمس مخاطر الكيان الصهيوني، وارتباطاته مع المحافظين الجدد على مستقبل الإنسانية والسلام العالمي، فالمجازر الوحشية وعمليات القتل والتدمير والاقتلاع والاعتقال والاعتقالات تلقى استنكاراً واستهجاناً واستغراباً من كل من يملك إرادة حرة.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة التي أصبحت أحد أبرز معالم الصورة لما يجري فوق أرضنا من فظائع ومجازر وجرائم ضد الإنسانية، تستدعي أن تكون كحركة وطنية بمستوى تطلعات شعبنا وأمانيه المشروعة في الحرية والاستقلال.

وهذا يستدعي أولاً أن نحدد بشكل دقيق وعلمي بعيداً عن الانفعالات السياسية الذرائعية الفصائلية الضيقة، كل عوامل وعناصر القوة والفعل الوطني المؤثر على المستوى المحلي والدولي، انطلاقاً من حقيقة أننا كشعب وكثورة، حملة راية المحبة والسلام في مواجهة راية الحقد والكراهية والقتل والاستئصال والتدمير التي يحمل لواءها الصهاينة، وجرائمهم المروعة في أرض القدس، والتي تحطمت على أبوابها كل الغزوات.

فسياسياً، يجب أن نحسن طرح قضيتنا وتوجهاتنا المرورية والاستراتيجية بتوحيد الموقف الوطني والإسلامي على مثل تلك الأسس باعتبارها قواسم الحد الأدنى الوطنية المشتركة والضرورية لتجنب شعبنا مزيداً من الانتكاسات والخسائر، وسنتمكن من تحقيق هذا المطلوب من خلال تجديدنا لسياسة وطنية واقعية، وامتلاكنا لخيارات محددة لكل عناصر الفعل



لوحة للفنان أحمد نصيف



لوحة للفنان فلاح العاني



لوحة للفنان هادي ماهود



لوحة للفنان أمجد طيار

أربعة تشكيليين عراقيين في «المدى»

رسائل عراقية!

من قلب الرماد.. ها هو العراق يتنفس لغة الحرية والجمال.. ينهض كالعتقاء ويواصل مع محيطه العربي، ليؤكد أصالة فنون الرافدين الماثلة من أيام آشور المجنح والبوابة الزرقاء في بابل، وما تلاها وصولاً إلى جواد سليم وهاشم البغدادي والعشرات غيرهم.

من بغداد اليوم جاء أربعة فنانيين تشكيليين عراقيين، يشرعون أجنحة التواصل والوداد في معرض جماعي لهم بدمشق هم: أحمد نصيف.. فلاح العاني.. هادي ماهود.. أمجد الطيار.. عرضوا عطرهم في بيت «المدى» للثقافة والفنون.

عن تجاربهم نقطف ما قاله الناقد نزار الراوي:

أحمد نصيف:

له أعمال أقل ما يقال عنها أنها تستوقف بلا تردد، وتزعزع إيماننا بثوابت الجمال وتطرح على من يراها أسئلة أكثر مما تجيب، يا لها من فجوات يتركها أحمد ليزيدنا قلقاً تجاه طمأنينتنا الساذجة، أنها لوحة أحمد من تذكر بأن النقد لا زال رهين لحظة الولادة في كل دقيقة.

فلاح العاني:

الذي تقمص الحقل ليسقط الفنان أرضاً، وكذلك ليتخلى عن جميع بروتوكولات الرسم الممنهج فيخلق من أعماله حقولاً غير حقول أهله التي عشقها حد التوحد والانصياع.. أجادت لوحته لغة الجمال أكثر مما أجادها الحقل، وأجاد الحقل لغة التناسق والهدوء أكثر مما أجادها الفلاح.. أعمال العاني تجعل الوقت يمر سريعاً فتثير الشك ي جدوى أن يعيش الإنسان خارج الحقل في تلك الأعمال.

هادي ماهود:

لعبة خطيرة، فهي للنقد أشبه بالمنزلق الذي يخطط لإسقاط الناقد في إحالات لا تحتملها اللوحة، لوحة هادي لا تحتمل الإحالة إلى شيء ما خارجها. قد ترى فيها ما يشبه السمكة أو الخشبية أو قصبه من الجنوب، ولكن ذلك هو المحط، فهادي لم يرسم سمكة أو أي شيء آخر خارج حدود قراءته التأملية لتفاصيل العالم. عمق الأعمال عند هادي وخطورتها تكمن في كونها حزمة آراء فلسفية تسوقها اللوحة إلينا لتبهتنا بمستقبل الفكرة في ذهنه.

أمجد الطيار:

يمتلك ناصية الاكتفاء بما يعجبه من العالم، وأكثر ما يثير أمجد في هذا العالم هو الفن الذي كرس أعماله لتكون فناً خالصاً يتجاوز معها المتلقي فيصير الحوار جمالياً أكثر من أي شيء آخر، خلق أمجد لنفسه نقطة توازن بين لغة الفن وبصيرة المتلقي الخارج عن العمل، وبذلك تمهد أعماله لاجتذاب أي منا عندما يقف أمامها لتسحبها إلى عمقها البعيد.



موضوع الغلاف:

في هذا العدد

الحدث:

6 - بوش يسقط في مستنقع العراق والصحوة العالمية جواد عقل

شؤون فلسطينية

8 - النظام السياسي الفلسطيني بعد الرئيس الفلسطيني عرفات إلى أين؟ حوارات عبد الرحيم الريماوي

اتفاقية جنيف

10 - تنازل خطير لن يمر أبو أحمد فؤاد

ورقة: حول الواقع الاقتصادي

12 - الفلسطيني الراهن غازي الصوراني

قطاع غزة.. صمود أسطوري

16 - في منطقة منكوبة أحمد م. جابر

تمويل دولي للمؤسسات التي تبعد المرأة عن

18 - واقعها النضالي حوارات: عبد الرحيم الريماوي

شؤون عربية:

الاحتلال الأمريكي للعراق

28 - وانعكاساته الخليجية عبد الرحمن النعيمي

32 - حوار مع المفكر عبد الغفار شكر هاني عياد

شؤون العدو:

السور العازل:

37 - الجريمة الإسرائيلية العنصرية سمير الزين

شؤون دولية:

عودة الدور الروسي إلى شرق المتوسط

39 - من البوابة الفلسطينية...! محمد صوان

ثقافة وفنون

النص الكامل لكلمة صنع الله إبراهيم

42 - في ختام مؤتمر الرواية العربية

44 - الأدبية هدى حنا تلملم شظايا الذاكرة

45 - الأغنية المقاومة.. أغنية فلسطين.. فيروز التاجي

- «أ ب سليبي» «ارتجال مسرحي»

47 - يقارب هموم القاع الشعبي علي الكردي

- «حنين العناصر» لعائشة أرتناؤوط:

49 - التطهر بخلايا الكتابة النائية سعيد البرغوثي

AL-HADAF
الهدف

سياسة عربية. شهرية

5 كانون أول (ديسمبر) - 2003 - العدد - 1348 - السنة الخامسة والثلاثون
العدد 20 ل.

AL-HADAF- No.1348 - December - 2003

كلمة

حدثان يستحوذان الاهتمام: إطلاق ما بات يعرف

باسم «وثيقة جنيف للسلام» في الأول من ديسمبر،

ملف جديد يضاف إلى ملفات ومحاولات إهدار

حقوق الشعب الفلسطيني، على يد حفنة ممن يدعون أنهم

يمثلون هذا الشعب لينطقوا باسمه متخليين عن أهم حقوقه

العادلة التي ضحى من أجلها وما يزال، حق العودة وحق

إقامة الدولة المستقلة السيدة على ترابها وسماتها ومآثها.

وما يدعو للسخرية والمرارة في أن هؤلاء المارقين

على كضاح الشعب لا يعدمون منطقاً ولو تأفها في محاولة

تبرير أفعالهم مدعين أنهم ينطلقون من مصالح الشعب وأن

الشعب تعب وأن الحقوق العادلة لا يمكن أن تعود على طاولة

المفاوضات وأن استرجاعها يتطلب حرباً لا تبقّى ولا تفر

على حد تعبير أحد فرسان جنيف السيد قنورة فارس. وكلامه

فيه الكثير من الصحة إذا كان التفاوض يجري على طريقته

هو ومن معه من عرابي أو سلبو سيء التصيت والسمعة. لأن

مفاوضين من هذا النوع لا يمكن أن يعودوا للشعب

الفلسطيني إلا بمزيد من الخسارة وإهدار التضحيات

والوقت. أما عن الحرب التي لا تبقّى ولا تفر فليتركها السيد

فارس لأهلها ممن نثروا أنفسهم تحرية الشعب وسعادته. ثم

من قال أن الحرب التي يشنها عدونا هي من نوع الحروب

التي تبقّى أو تفر؟ أليست حرب إبادة بكل ما تحمله الكلمة

من معنى نثره الإجابة للسيد فارس؟

الحدث الثاني هو الحوار الوطني الفلسطيني الذي

تحضره كل القوى الفلسطينية. والرسالة التي يمكن أن

توجهها للمجتمعين في القاهرة هي ببساطة الانتفاضة نهائياً

لمصالح الشعب والالتزام بجدول أعمال الانتفاضة، دون أن

تكون الكهنة هي الأساس في هذا الحوار والهدف منه والأهم

منها هو الخروج من القاهرة موحدين قادرين على تلممة

طاقات شعبنا للتمضي قدماً في الانتفاضة حتى تحقيق

الحقوق الوطنية لشعبنا مما يتطلب من المجتمعين الإعلان

التواضح والحازم عن رفض وثيقة جنيف وكل المشاريع التي

تقرط بحقوق الشعب.

أ ج



أسسها
عام 1969
الشهيد
عسان كنفاني

رئيس التحرير: جواد عقل

سكرتير التحرير: أحمد م. جابر

المدير الفني: زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان 1000 ل.ل - الجزائر 15 ديناراً - المغرب 11 درهم
سوريا 20 ل.س - ليبيا دينار واحد - أمريكا وكندا 3 دولار
الأردن 500 فلس - تونس 1.25 دت - ألمانيا 5 ماركات
العراق 500 د.ع - صغاء 15 ريالاً - إسبانيا 300 بيزيتة
الإمارات 10 درهم - السودان 6 جنيهات

الإشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد،
سوريا 600 ل.س - لبنان والأردن 30 دولار
بقية الدول العربية 50 دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي
(أو نصف السنوي) باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
بنك بيروت والبلاد العربية - شتورا - لبنان
رقم الحساب:

(AC.No.0013-373179-001)

أو بإرسال شيك بنكي باسم رئيس التحرير
دمشق / ص.ب. 30192

المكاتب:

دمشق، ص.ب. 30192 - هاتفه: 6228227 - فاكس: 6319374
بيروت، 30922 - عمان، 696340 - الجزائر، 694888 - 28304
بغداد، تليفونكس 7782290 - صغاء، 205819
الموقع الرسمي للجمعية لتحرير فلسطين على الإنترنت،
بالإنكليزية: <http://www.pfp-pal.org>
بالعربية: <http://www.pfp-palestine.org>
الهدف على الإنترنت: <http://www.alhadafmagazine.com>
البريد الإلكتروني: alhadaf@mail.sy

التوزيع

* التوزيع في الجمهورية العربية السورية،
للإسسة العربية لتوزيع المطبوعات
* التوزيع في المغرب، الشركة المغربية لتوزيع الصحف

حفل تأييني للشهيد المناضل
صابر محي الدين في دمشق وعمان



مشروع
النهضة

.... ورقة
للحوار!

34



قنبلة
صنع الله إبراهيم
تأثيرات واسعة
وأفعال
محدودة

43

البحث

بوش يسقط في مستنقع العراق والصحوة العالمية

جواد عقل



فالمغامرة الأمريكية في العراق أريد لها أن تضع اللبنة الأولى لنظام شرق أوسطي تابع للولايات المتحدة ومخططاتها وأطماعها، المتماثلة مع حلم أصدقائهم الصهاينة في تحقيق إنجازات على الأرض لمصلحة المشروع الصهيوني وأطماعه، في وقت عجزت كل الآلة العسكرية الإسرائيلية وجرائمها عن تحقيق مثل هذا الهدف، لكن حساب الحقل لم يكن قط متوافقاً مع حصاد البيدر. فالمستنقع الذي أدخل الأمريكيون أنفسهم فيه، والمأزق الذي ولجت إليه إدارة بوش بفعل الاستراتيجية العدوانية والعنصرية والفاشية للمحافظين الجدد أوقع أمريكا وقواتها في المستنقع العراقي، وبدأت علامات الصحوة تتبدى من خلال التحولات الحقيقية في الرأي العام الأوروبي ضد هذه النزعات التي تهدد مستقبل البشرية ومنجزتها بأفدح الأخطار، فلقد أعلن البريطانيون حلفاء الإدارة الأمريكية للملأ، رفضهم لسياسة بليز الذيلية، ومناهضتهم لبوش وسياساته الخارجية، خاصة مغامرته بغزو العراق، حيث فتحت النار عليه من كل حذب وصوب، وعززت من قدرات وإمكانات الاتجاهات المغامرة لتعزيز ضرباتها للأمريكيين وحلفائهم من بولونيين وإيطاليين وبريطانيين.

وتساهم تلك المغامرة العسكرية وممارسات الجنود الأمريكيين على الأرض، ضد الشعب العراقي، وفشل الإدارة الأمريكية في تحقيق أية إنجازات على الأرض، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو أمنية. بتعاظم فعل المقاومة وضرباتها، والتي بدأت تشكل في مصداقية الإدارة الأمريكية، والتي أدت إلى تراجع حلفاء أمريكا عن المشاركة في تحمل مسؤولية أعباء احتلال العراق.

فالمشهد الدولي وتطوراتها تلقى مزيداً من الشك حول مخاطر وأبعاد ومرامي الاستراتيجية الأمريكية التي خطط لها منظرو ومفكرو ما يسمى بتيار المحافظين الجدد، تحت يافطة محاربة الإرهاب، والذي مهد له بنظريات تبدأ عن الحديث عن صراع الحضارات، وضرورة بسط الثقافة الأمريكية على البشرية، وبشكل رئيسي على العالمين العربي والإسلامي، بوصفهما مصدر الخطر على الولايات المتحدة والبشرية، لأنها من أكبر مصدري الإرهاب في العالم، وجاءت أحداث 11 سبتمبر لتسرع من قدرة هذا الجناح المنتفض في الإدارة الأمريكية، والمتحالف مع اليمين الفاشي الصهيوني على وضع رزنامته لهيمنة على البشرية، وبطريقة تعيد إلى الأذهان الصور المأساوية والوحشية لممارسات البيض من أمريكا ضد السكان الأصليين والسود.

فقد وجد هؤلاء السياسيين والمفكرين ضاللتهم حينما اكتشفوا أن البشرية جمعاء تعاطفت وتضامنت مع الولايات المتحدة، ونعني بذلك مع الأبرياء الذين سقطوا ضحية هذا العمل، وأدانت بشكل واضح الأعمال الإرهابية التي تتعرض للمدنيين الأبرياء، وطالبت بضرورة إيجاد حلول قادرة على تخلص البشرية ومجتمعاتهم من شرور مثل تلك الأعمال، من خلال مشاركة دولية واسعة في بحث أسباب ودوافع هذا الإرهاب، باعتبار أن الحدث يحد ذاته هو نتيجة لظلم واضطهاد وغياب الديمقراطية والشفافية في العلاقات الدولية وانعكاساتها السلبية على شعوب العالم الثالث، التي مازالت ترزح تحت نير الفقر والجهل والمرض والاضطهاد المحلي والدولي، في ظل استمرار سياسة الهيمنة والسيطرة للدول الصناعية على البشرية. والدعوة إلى تعزيز العلاقات الدولية وتعزيز دور المنظمات الإقليمية في البحث عن أنجع الطرق والأساليب لمواجهة الأوضاع المتردية لدى غالبية شعوب الأرض، وتعزيز دور الأمم المتحدة ومنظماتها لأداء دور مركزي في

نة السلم والأمن والاستقرار.

لكن إدارة بوش التي يحكمها الصقور وحملة لواء العنصرية، دقوا طبول الحرب، وأعلنوها على الإرهاب وأطلقوا لأنفسهم العنان لتهديد البشرية وشعوبها بحرب دائمة ومستمرة واستباقية للقضاء على عدو هلامي غير واضح المعالم، بدلاً من مشاركة البشرية في تحديد علمي دقيق للإرهاب، شنت الإدارة هجوماً على المناضلين من أجل الحرية، وعلى حركة التحرر الوطني الفلسطيني بشكل رئيسي وأجبرت أوروبا والعديد من الدول السائرة في فلكها إلى اعتبار فضائل العمل الوطني الفلسطيني فضائل إرهابية، في الوقت الذي تدرك فيه أن هذه الفضائل تقاتل أشرس وأعتى عدو عرفته البشرية، المدعوم من طرف هذه الإدارة الفالسة من عقائلا والذاهبة بالعالم إلى مصير مجهول. الأمريكيون ابتهجوا لمغامراتهم وإجراءاتهم، والتي ضربت بشكل دراماتيكي بأبسط قواعد القانون الدولي وحقوق الإنسان، وبرروا هذا الجنوح نحو المكارثية بالظروف التي خلقتها أحداث 11 سبتمبر، وروعوا شعبهم وبقيّة شعوب العالم بهذه الإجراءات، حيث على العكس مما ظنوا، زادت الأعمال الانتقامية ضد الأمريكيين ومن يناصرهم، وتعاظم العداوة للإدارة الأمريكية في شتى بقاع الأرض، ارتباطاً بالمناخات التي ولدتها مغامراتهم العسكرية وتهديداتهم، وضغطهم على العديد من الدول، بما في ذلك أصدقائهم وأكثر حلفاءهم قريباً، فمناخات الإحباط التي ولدها الشعور العالي والمكثف للغطرسة والقوة، وإدارة الظهر للأعراف والمواثيق الدولية، والتنكر حتى للمعاهدات والاتفاقيات التي وقعتها الإدارات السابقة مع

روسيا. والإفراط في العداوة للشعوب، وتطلعاتها، وتنصيب الإدارة نفسها الحاكم الفعلي للبشرية، المدعي والقاضي والجلاد. خلق أجواء ساهمت وساعدت إلى حد بعيد في تنامي العداوة للإدارة الأمريكية، وحلفائها، فمن أحداث بالي مروراً بالمقاومة المتعددة والمتنوعة للوجود الأمريكي في العراق وأفغانستان، مروراً بتركيا، ولوجاً إلى إزالة النصب التذكاري لبوش أثناء زيارته إلى لندن، وما رافق تلك الزيارة من مظاهرات غضب وتنديد عارمة عمّت بريطانيا، إعلاناً واضحاً برفض السياسة الهوجاء لصقور الإدارة الأمريكية ولحلفاء الإدارة الصغار أمثال بليز وبرلسكوني وأزنان، الذين لا تغفر لهم شعوبهم انجرارهم إلى مغامرة الحرب الأمريكية وكل ما رافقها من سياسة تضليل إعلامي وسياسي حول امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، ورغم انفضاح ما اقترفوه جميعاً بحق العراق والإنسانية، مازال معسكر بوش يحاول الافتراء على سوريا وإيران، وسوق نفس التبريرات التي تساعدهم على خوض المزيد من المغامرات العسكرية لليانكي الجديد الذي يريد بالقوة وبالإملاء فرض الثقافة الأمريكية على البشرية.

فشعوب المنطقة رغم ما أصاب مؤسساتها الإقليمية والرسمية من وهن وضعف وهوان، إلا أنها أكدت أن الشعوب حية ومؤهلة للمقاومة، من خلال تصعيدها وتنويعها وقدرتها على إصابة القوات الأمريكية الغازية وحلفائها الإسرائيلية،



إصابات مؤثرة وموجعة تجعل من استمرار الاحتلال والعدوان والاعتصام أمراً مدفوع الثمن غالباً من دماء جنودهم وميزانياتهم ومن دافعي الضرائب، بالإضافة إلى الأبعاد الأخلاقية والإنسانية للأعمال والمجازر التي ترتكب في العراق وفلسطين باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، التي تمتهن في كل ثانية ودقيقة من قبل القوات الأمريكية والإسرائيلية. فحرية الشعوب وديمقراطيتها لا تقدم مئة من أحد، وإنما تنتزعها الشعوب بنضالها وكفاحها ضد

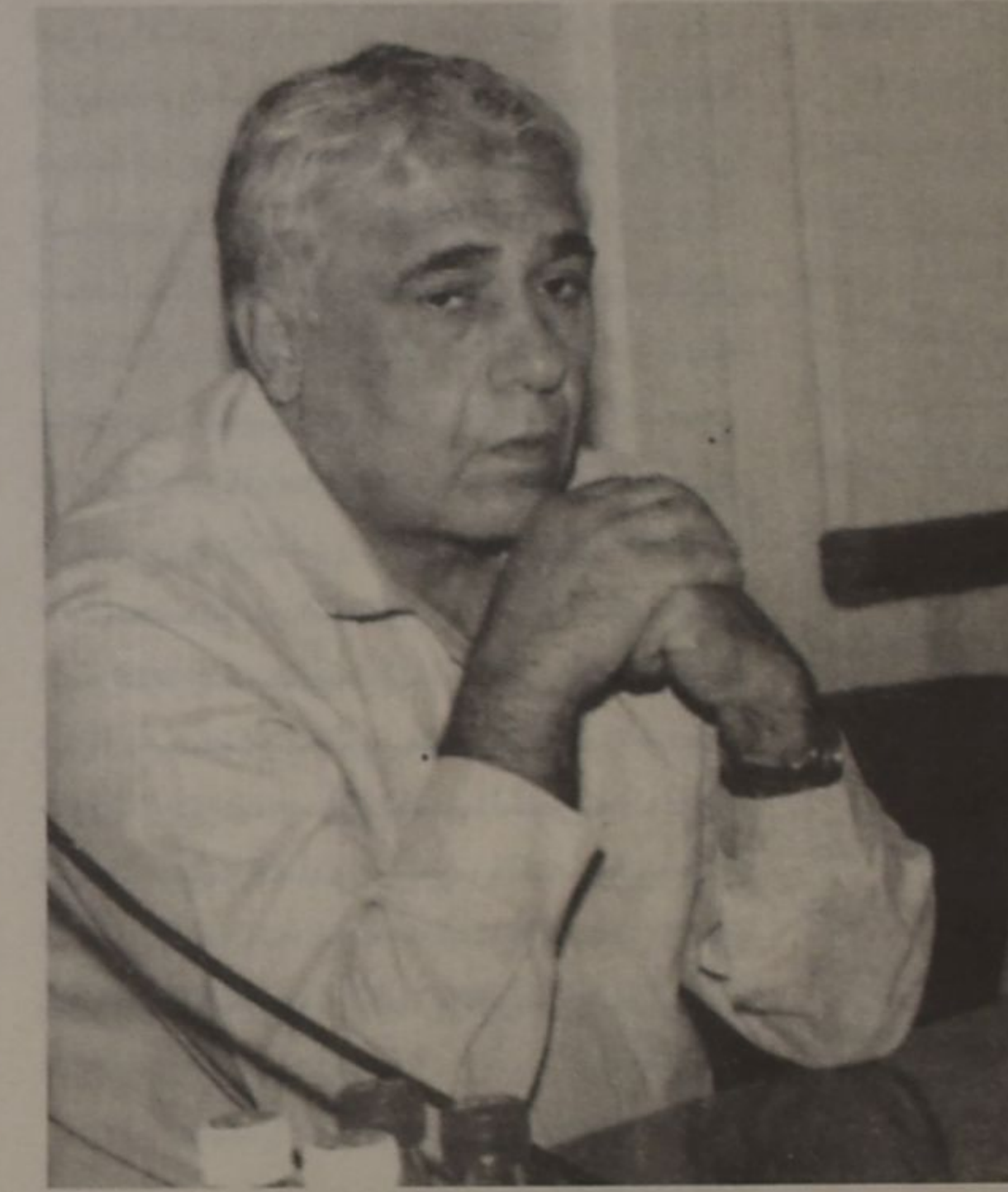
الطغاة أياً كانوا، من أبناء البلد أم محتلين. فالحراك الشعبي والرسمي العالمي وتفاعلات المقاومة وآثارها على المجتمع الأمريكي ستزيد من مأزق إدارة بوش، وستكشف عن عمق وعيبية وعدم جدوى السياسات التي تريد فرض الهيمنة بالقوة على الشعوب ومقدراتها، والصراع بدل الحوار هو الأجدى لصياغة مستقبل أفضل للبشرية، لذلك فإن المستنقع العراقي الذي أضحى قدر قوات التحالف، وعلى رأسها القوات الأمريكية التي ستدفع ثمن اغتصابها لأرض الرافدين، واستباحة ثرواته ومواطنيه، وأحد النتائج الطبيعية للسياسة المغامرة التي يمارسها غلاة المحافظين الجدد أمثال رامسفيلد وبولوفيز وغيرهم الذين لم يتورعوا عن دق طبول الحرب، وتدمير كل ما هو إنساني وحضاري في العراق، كمقدمة ضرورية لاستباحة المنطقة وفرض استراتيجيتهم خدمة لأهداف الصهيونية ومطامعها. وبالتالي فإن قوى حركة التحرر الوطني العربية مدعوة لصياغة برنامج نهضوي ديمقراطي قادر على تفعيل كل العناصر الإيجابية في الأمة لمصلحة صياغة مستقبل مشرق للأمة، بالترايط مع إيجاد أشكال كفاحية تمكن الشعبين الفلسطيني والعراقي من إلحاق الهزيمة بإسرائيل وأمريكا، وتمهد الطريق لنجاح أي مشروع نهضوي ديمقراطي عربي يساهم مع باقي شعوب الأرض والبشرية في إقامة نظام دولي قائم على أساس العدل والمساواة

والأمن والسلم، وستساهم كل شعوب العالم وحكوماتها الحرة في هذا التوجه العالمي الذي يريد أن يضع حداً لسياسة التهديد والتدخل الخارجي السافر، والعدوان والإرهاب، بصياغة منظومة من العلاقات والمواثيق تساهم في وضع حد للظفر والمرض والظلم، والعلاقات الغير متكافئة لتطوير وصيانة للقيم والمبادئ الإنسانية التي دفعت الإنسانية ثمناً غالياً لترسيخها، فالتقدم للأمام لتطوير هذه المبادئ والقيم لن يكتب له النجاح إذا لم تفلح البشرية في وقف سياسة العدوان والغطرسة والإملاء الأمريكية على البشرية، وشعوبها وحكوماتها ومنظماتها الدولية، ولعل ما واجهه بوش في بريطانيا مؤشراً لمدى الانحدار الأخلاقي الذي وصلت إليه إدارته، ومناهضة الشعوب وإدانتها لسياساته وانعكاساتها السلبية على مستقبل البشرية.

مجدلاوي يجيب على أسئلة الهدف.

النظام السياسي الفلسطيني بعد الرئيس الفلسطيني عرفات إلى أين؟

حاورة في غزة: عبد الرحيم الريماوي



من الصعب الحديث عن نظام سياسي إذا لم يكن النظام السياسي «دولة مستقلة وذات سيادة» فالفلسطينيون لديهم سلطة فلسطينية، وهذه السلطة ليس لها سيادة على الأرض، وليست مستقلة، وتعيش الآن تحت الاحتلال، فلم يعد هناك وجود للسلطة الفلسطينية إلا شكليا ونظريا، فالنظام السياسي الفلسطيني متشابك ما بين منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، فمنظمة التحرير لها مؤسساتها، المجلس الوطني والمجلس المركزي واللجنة التنفيذية التي يرأسها عرفات.

ففي عام ١٩٩٦ أعيد انتخاب الرئيس عرفات للجنة

التنفيذية، والقانون الأساسي للمنظمة يقول أن أي غياب للرئيس تجتمع اللجنة التنفيذية وتنتخب رئيساً، ولكن اللجنة التنفيذية اليوم تعيش حالة مهترئة بسبب الاعتقالات الإسرائيلية لبعض أعضائها، هذا أولاً، وثانياً مضى على انتخاب اللجنة التنفيذية أكثر من سبع سنوات وحسب النظام الأساسي للمنظمة مطلوب إجراء مفاوضات كل ثلاث سنوات لتجديد اللجنة التنفيذية من قبل المجلس الوطني الفلسطيني.

الهدف حاورت الرفيق جميل مجدلاوي عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول العناوين السابقة، وهنا نص الحوار:

الهدف حاورت قادة فلسطينيين حول نفس الموضوع والتصوص منشورة في موقعنا على الانترنت

الاحتلال تتحكم في الحركة داخل مناطق السلطة الفلسطينية، فالعدو الإسرائيلي يعتقد أنه صاحب اليد الطولى في تقرير الشأن الفلسطيني الداخلي، ولم يكن بالإمكان في اتفاقيات أوسلو والالتزام بها، تحديد أهداف سياسية تستجيب للحد الأدنى من الحقوق الوطنية، ولا بناء مؤسسة يمكن أن تشكل رافعة وعامل مساعد لتحقيق الأهداف الفلسطينية، فالمرجح من هذه الأزمة هو مغادرة هذه النظم السياسية والنظم التنظيمية، الجبهة الشعبية دعت لإجراء حوار وطني شامل لمناقشة كل الشأن الوطني الفلسطيني، والوصول إلى برنامج القواسم المشتركة، وعلى أساسه يتم تشكيل القيادة الوطنية الموحدة، لتشكل المرجعية العليا للشعب الفلسطيني، ومن مهام القيادة الوطنية الموحدة، قيادة الشعب لمواجهة الاحتلال، والإعداد وتهيئة الشعب الفلسطيني من مهام القيادة الوطنية الموحدة، قيادة الشعب لمواجهة الاحتلال، والإعداد وتهيئة الشعب لإجراء الانتخابات الديمقراطية الشاملة والدخول الفعلي في هذه الانتخابات بهدف إعادة ترتيب المؤسسات الفلسطينية على أساس الانتخابات المستندة إلى مبدأ التمثيل النسبي وقانون ديمقراطي عصري، وعبره يستطيع الشعب بناء المؤسسات على أسس وطنية وديمقراطية، «قانون التمثيل النسبي» يكفل للشعب الفلسطيني التعددية السياسية والحزبية التي تحول المجتمع إلى مجتمع إيجابي يتم إشرائه بالتجربة الانتخابية والديمقراطية لتكون تجربة متقدمة، وعبرها يتم حشد كل طاقات الشعب الفلسطيني مستنديين إلى المؤسسة التي تضم كل ألوان الطيف الفكري والسياسي والتنظيمي.

الهدف: مرض الرئيس ياسر عرفات خلق لدى الكثيرين، خاصة أنه المتحكم الرئيس بالأبعاد المختلفة للنظام السياسي الفلسطيني، سؤال، ماذا بعد ياسر عرفات؟

المجدلاوي: استشهد بقول الرئيس ياسر عرفات نفسه يردده دائماً، أن الشعب الفلسطيني

أكبر وأعظم من كل قياداته، وقادر على تقديم قيادات تستطيع أن تتقدم صفوف النضال من أجل تحرير الأرض ونيل كامل الحقوق الوطنية الفلسطينية.

الهدف: غياب المؤسسة وسلطة الفرد تدعو للتساؤل عن دور القوى والمنظمات المختلفة التي لها علاقة بالعمل الوطني الفلسطيني، لماذا أهملت هذه القوى برأيكم متابعة هذا الموضوع، وهل من مخاطر للحديث فيه بوجود أبو عمار وهل يعتبر الحديث عن توزيع الصلاحيات درب من دروب سحب الصلاحيات من الرئيس؟

المجدلاوي: كل ما يمكن أن يسمى توزيع الصلاحيات وإعادة النظر بالاختصاصات الموجودة في إطار النظام القائم، هذه معالجات قاصرة وعاجزة، وفي كل الأحوال ستعيد إنتاج ذات الأزمة، الأزمة تتمثل بالنظام السياسي بكامله الذي يقوم على أساس الهيمنة والتفرد، فلا يمكن لمثل هذا النظام إلا أن يعيد إنتاج نفسه وإنتاج أزمته بأسماء وأشكال جديدة، القوى الوطنية الفلسطينية ليست غائبة فهي موجودة وتناضل وتراكم إنجازات، وهذه المراكمات ليست بالواتر المطلوبة وهناك تخلف كبير في الحالة السياسية الفلسطينية عموماً، لا أحد يستطيع أن يتجاهل العوامل الإقليمية والدولية وتأثيراتها السلبية على الوضع الفلسطيني، ولكن لا يمكن تحويل هذه العوامل إلى ذرائع تعلق عليها أخطاء الجبهة الشعبية، ونواقص عليها، ولا أخطاء القوى السياسية الأخرى في العمل الفلسطيني، هناك أمور وقضايا كثيرة تحتاج إلى مراجعة عند جميع القوى الفلسطينية، من أجل حشد قوى اجتماعية تستطيع أن تؤثر تدريجياً في ميزان الوضع الفلسطيني الداخلي، وتقلل من الآثار الضارة للعوامل الخارجية التي تفضل فعلاً سلبياً في الوضع الفلسطيني الداخلي، فالمراجعة الفلسطينية الشاملة مطلوبة، الجبهة الشعبية حاولت أن تقوم بمثل هذه المراجعات والمؤتمرات السادس للجبهة شاهد على هذه المراجعات ولكن النتائج أقل بكثير من طموح الجبهة الشعبية، وأقل مما تنتظره الجماهير الفلسطينية.

الهدف: كيف يمكن التعامل مع موضوع بهذه الحساسية بضوء الحديث عن محاولات إقصاء ياسر عرفات، وكيف يمكن وضع خطوط وحواجز بين الإملاءات الخارجية والضرورات الملحة داخلياً؟

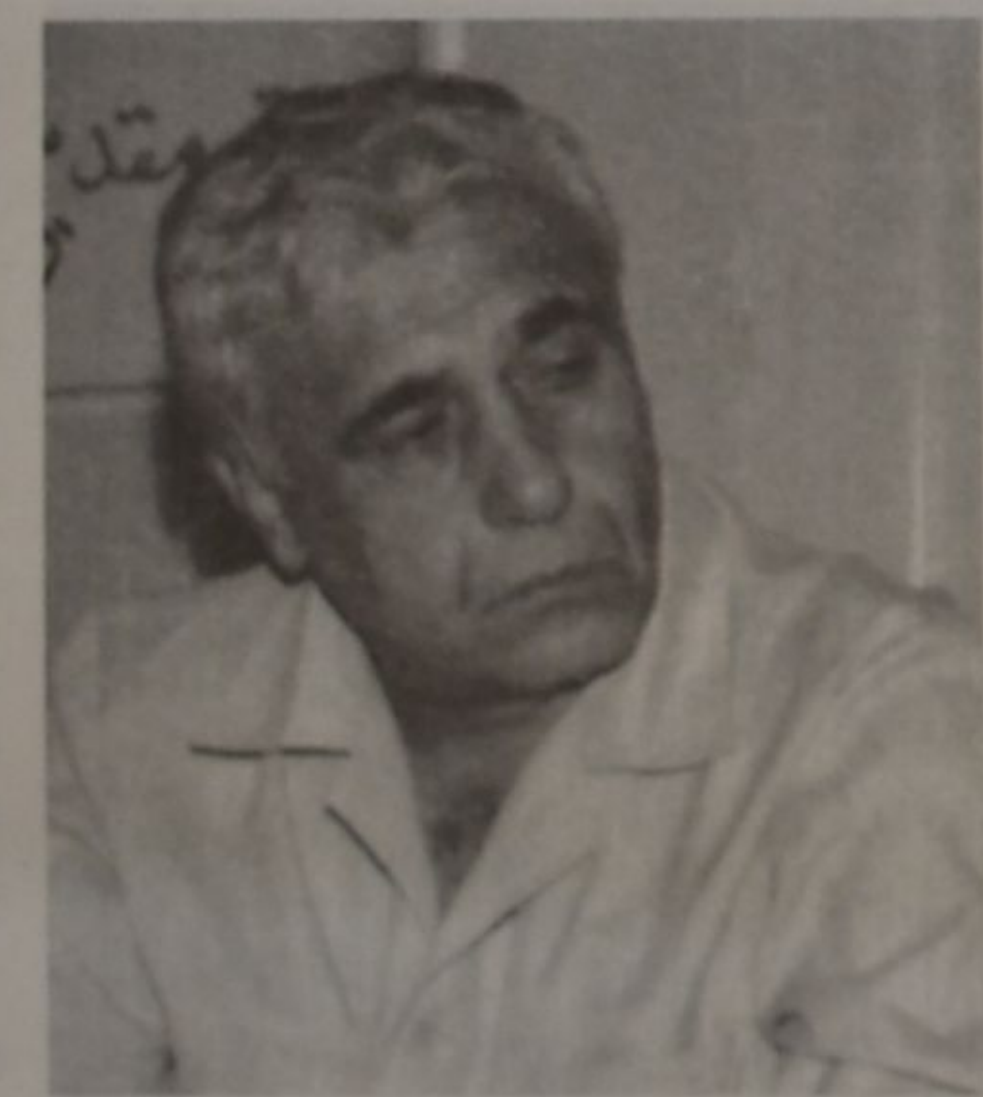
المجدلاوي: مراكمة ميزان قوى اجتماعي

فلسطيني يوسع من هوامش الديمقراطية والمشاركة الجماعية في إقرار السياسة ومتابعة تنفيذها للحد من التفرد والهيمنة، يمكن أن يتحقق في ظل وجود عرفات وفي ظل غياب عرفات، فهذا الموضوع نضالي، هي «صيرورة المؤسسة الفلسطينية، فلا يمكن للمؤسسة أن تستقيم إلا إذا وصلت هذه الصيرورة مسارها الذي يقود للنتائج الديمقراطية التي تعيد جميع القوى إلى جماهير الشعب والاحتكام لصندوق الاقتراع.

الهدف: هناك من يتحصن خلف، لنبقي ما هو قائم على حاله لحين انتهاء حالة الرمز، النضال الوطني الفلسطيني، وذلك خوفاً من أن تفهم هذه الدعوات بأنها تحريض على فتح ملفات الصراع الداخلي أو ما شابه؟ وفي المقابل وفي حالة انتهاء حالة الرمز هل هناك مخاطر جدية لنشوب صراع داخلي أو حرب أهلية فلسطينية لانتزاع السلطة؟ وما هو حجم التأثير الخارجي المفترض بهذا الموضوع؟

المجدلاوي: موضوع الرمز بالنسبة للجبهة الشعبية يتمثل في الرمز الكفاحي، وهذا يجسد أبطال المقاومة والأطفال الذين يتصدون للدبابات بصدورهم، ولم يكن بالنسبة للجبهة الشعبية الرئيس عرفات رمزا تعبه، فالرئيس عرفات قائد وطني فلسطيني قاد التجربة الفلسطينية، وتاريخ عرفات هو الذي سيحكم له أو عليه في كل محطات هذه التجربة، كان للجبهة رأي في أداء الرئيس عرفات وطريقة قيادته للثورة وفي كل مرة أعلنت الجبهة الشعبية رأيها وتقييمها لمحطات الكفاح الوطني الفلسطيني، عرفات قائد وطني كبير، قائد للمنظمة والسلطة وهو قائد أول لهذه التجربة، ولكن من الخطأ تحويل هذه القيادة إلى رمزية

المجدلاوي: حركة الجماهير الفلسطينية أكبر من أي رمز وأكبر من أية قيادة، هكذا علمنا التاريخ، فالجماهير هي التي تصنع التاريخ، وإذا كان هناك قائد أو رمز أو بطل مرتبط بمصالح الجماهير بقدر ما يستجيب لهذه المصالح ولخدمتها، فالأساس هي حركة الجماهير وفعلها الذي ينسجم مع مصالحها الوطنية والاجتماعية، والقادة تتحدد مكانتهم بقدر استجابتهم للمطالب الجماهيرية.



لا يمكن العمل خارجها، والجبهة الشعبية تقول أن الشعب الفلسطيني يمر في مرحلة تحرر وطني وديمقراطي، والتحول الديمقراطي يتطلع إلى التغيير الفعلي من خلال التوجه إلى المزيد من الديمقراطية والحد من التفرد والهيمنة، الجبهة الشعبية تريد قيادة وطنية موحدة برئاسة عرفات، وعرفات لا يزال الشخص الأول الذي يمكن أن يقود مثل هذه القيادة الموحدة، ولكن ليس في نفس الطريقة والواتر والأساليب التي اتبعت في منظمة التحرير، فمطلوب إنهاء التفرد من خلال متابعة تنفيذ القرارات الجماعية، فالنتائج السياسية لسياسة التفرد هي نتائج مرة وحصاد مر، ولكن هذا لا يعني أن لا تطوي صفحة هذه المرحلة ونفتح صفحة جديدة، ومن يحاول أن يحدث مطابقة بين المطالبة الفلسطينية بتغيير العلاقات الفلسطينية نحو قيادة جماعية ووطنية موحدة لتحقيق مشاركة الجميع وبين المطالبة الأمريكية الإسرائيلية بتغيير القيادة نحو قيادات مطواعة، هذا إنسان مضلل ويهرب من الحقائق، فمثل هذه المفاهيم المغلوطة لا يمكن أن تربك الفلسطينيين بالاستمرار في النضال ببعديه الوطني والديمقراطي.

الهدف: بغض النظر عن ما هو قائم الآن، هل بإمكان الحديث أن الصورة القادمة في المستقبل يمكن أن تحمل أيضاً مرحلة الرمز والتحكم الفردي بالأمر أم أنه بالإمكان الحديث عن أخذ غير، وتوجه نحو رؤية مستقبلية بصيغة قيادة موحدة للعمل الوطني الفلسطيني؟

المجدلاوي: حركة الجماهير الفلسطينية أكبر من أي رمز وأكبر من أية قيادة، هكذا علمنا التاريخ، فالجماهير هي التي تصنع التاريخ، وإذا كان هناك قائد أو رمز أو بطل مرتبط بمصالح الجماهير بقدر ما يستجيب لهذه المصالح ولخدمتها، فالأساس هي حركة الجماهير وفعلها الذي ينسجم مع مصالحها الوطنية والاجتماعية، والقادة تتحدد مكانتهم بقدر استجابتهم للمطالب الجماهيرية.

الهدف أجرت أيضاً حوارات حول النظام السياسي الفلسطيني بعد الرئيس الفلسطيني عرفات إلى أين؟ شارك فيها عضو المجلس التشريعي الفلسطيني حاتم عبد القادر، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني د. عزمي الشعيبي، رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح، المرشح المفترض للرئاسة، د. عبد الستار قاسم رئيس اللجنة السياسية في المجلس الوطني الفلسطيني عبد الله الحوراني.

اتفاقية جنيف تنازل خطير لن يمر

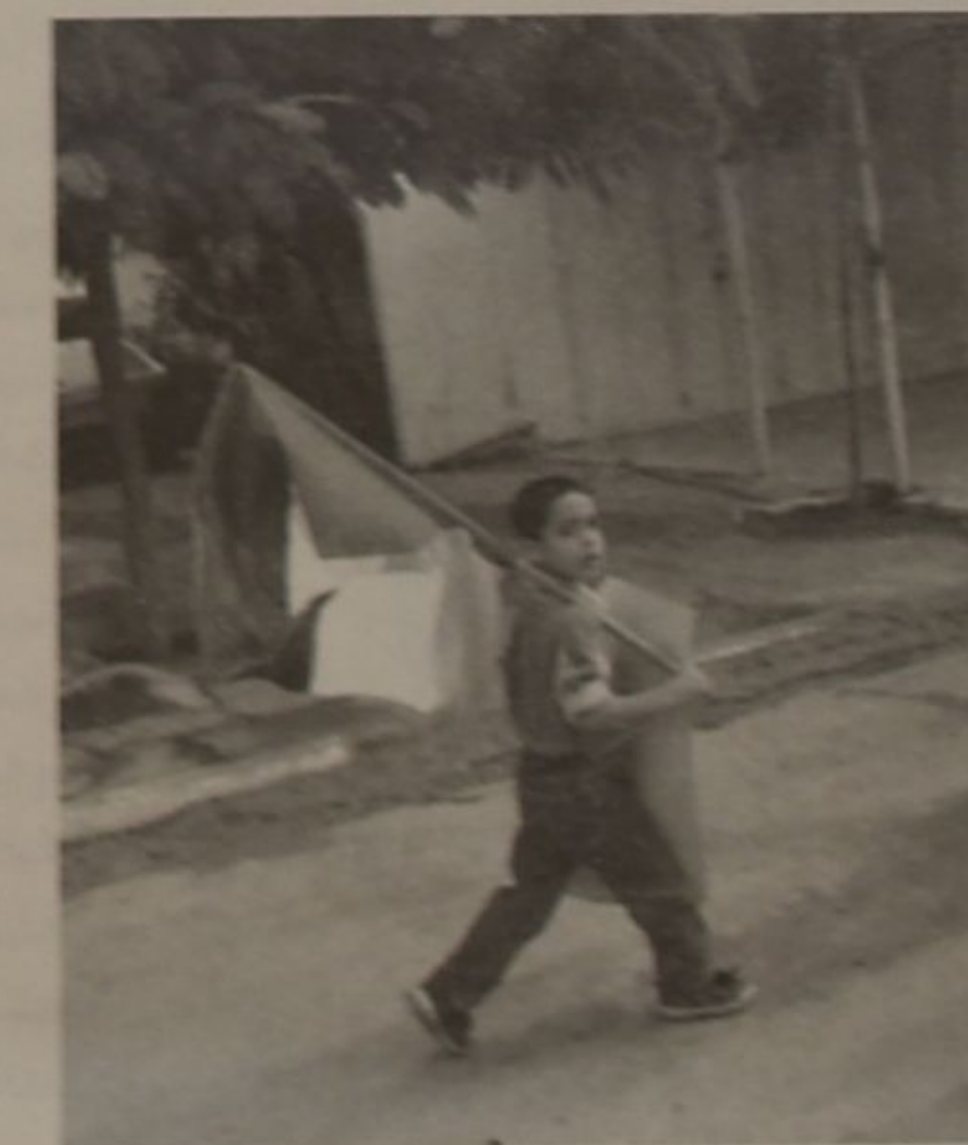
أبو أحمد فؤاد

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

مع اشتداد الهجمة الإمبريالية الصهيونية على أمتنا العربية عموماً، من خلال الاحتلال المباشر للعراق، والتهديد المتواصل ضد سوريا ولبنان، وعلى شعبنا الفلسطيني بشكل خاص، بالتكثيف النوعي للجرائم الصهيونية ضد شعبنا وأرضنا، عبر التدمير المستمر لمؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية، من خلال هدم المنازل واقتلاع المزروعات وإقامة الحواجز وإنشاء الجدار العنصري، تنمو ظاهرة الاستقطاب داخل أمتنا العربية وشعبنا الفلسطيني، بين قطب يتساقط مع الأعداء يمثل شرائح اجتماعية ترتبط مصالحها مع استمرار الوضع القائم، وبين قطب شعبي يعي أن مصلحته في استمرار مقاومة العدو الإمبريالي الصهيوني حتى يتم تغيير بموازين القوى يسمح بأخذ زمام المبادرة في الحراك السياسي في المنطقة.

وحتى يحميهم القومية وحق تقرير المصير. أما الحديث عن أن الاتفاقية تنهي كافة المطالب السابقة فهذا يناهض القانون الدولي، الذي يعترف بأن بعض الحقوق ثابتة لا تتقدم، ومنها حق عودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها.

بالرغم من معاهدات الاستسلام الموقعة بين بعض الأنظمة العربية والكيان الصهيوني، فلم يفلح العدو بتطبيع علاقته مع شعوب تلك الأنظمة، لذلك فقد تبرع أصحاب اتفاق جنيف أن يصبح الكيان الفلسطيني ذو السيادة المحدودة العبارة، التي تسهل تغلغل النفوذ الصهيوني لوطننا العربي. إضافة لذلك فقد بلغ استهتار الفريق الذي يدعي تمثيل الشعب الفلسطيني تبنيه صياغات مرفوضة حتى من



بعض الدول المرتبطة باتفاقيات سلام مع الكيان الصهيوني، فالحديث عن إقامة شرق أوسط آمن ومستقر، يثبت رؤية شمعون بيريز الشرق أوسطية سيئة الصيت المتعارضة مع مشروع التكامل الإقليمي العربي المعمول به في اتفاقيات الجامعة العربية. كما أن الحديث عن الأحلاف العسكرية يحرم الدولة الفلسطينية الوليدة من الانضمام إلى معاهدة الدفاع العربي المشترك. أما الحديث عن التعاون الأمني بين الدولتين ما هو إلا تثبيت للسيطرة الأمنية الصهيونية على فلسطين، لأن التعاون الأمني لا يمكن أن يكون متكافئاً إلا بتكافؤ موازين القوى.

إن طبيعة الكيان الصهيوني كتجميع لإثنيات عديدة من أصقاع الأرض تفرض على المجتمع شكل من حرية التعبير يتضمن التحريض والعنصرية بما فيها التحريض الديني. أما النص المتعلق بالتحريض في الاتفاقية المهزلة فهو يهدف إلى منع الفلسطيني حتى من أن يحلم أو أن يغني لياها وحيفا وبيسان. لم يكتف الفريق الفلسطيني بانتقاص السيادة الوطنية، فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية، بل وافق أيضاً على وجود قوات أجنبية على أراضي الدولة العتيدة لحماية أمن الكيان الصهيوني.

لقد أثبتت تجارب شعبنا أن محاولة تحقيق أهدافنا الوطنية المرحلية بتحقيق الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس وإخلاء قطعان المستوطنين من أرضنا وعودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها غير ممكن في ظل موازين القوى الحالية. فبالرغم من جميع التنازلات والمساومات على الثوابت الفلسطينية، خاصة في فترة اتفاقيات أوسلو وما بعدها، رفض العدو الصهيوني حتى أن يبطن من برنامج الاستيطان، ويغض النظر عن من في الحكم يمين أو يسار، لذلك فإن القبول بفتريات زمنية لا يعني إلا إعطاء العدو فرصة لتضم المزيد من الأراضي والممتلكات. إضافة لذلك فقد وقع فريق عبد ربه على انتقاص السيادة الفلسطينية فيما يتعلق بالأجواء والمعابر.

أما بالنسبة للقدس عاصمة الدولة الفلسطينية فقد وافق المتنازلون على الاعتراف بالحقائق المفروضة ميدانياً من قبل العدو الصهيوني والمرفوضة والمدانة حسب قوانين الشرعية الدولية التي ترفض أي تغيير هيكلية بالنسبة للأراضي الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي، وهذا وضع القدس العربية رسمياً حتى يومنا هذا، وحتى بالنسبة لعدونا الإمبريالي، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن أخطر ما في وثيقة التنازل ما هو متعلق بموضوع اللاجئين. فإن أقل ما يمكن أن توصف به النتائج المفروضة إسرائيلياً، أنها تشرع التوطين الإجباري لشعبنا في دول اللجوء، وتحول حق العودة من حق سياسي معترف به دولياً إلى منة إنسانية، قد يقدمها كيان العدو لبعض الحالات للاستهلاك الإعلامي. إضافة لذلك فهو يستقطب المطالب المستقبلية لأي فلسطيني بالرغم من معرفة الفريق المتنازل أن الصهاينة لا زالوا يبتزون المجتمع الإنساني لأمر قد تكون قد حدثت قبل منتصف القرن الماضي.

إن صراعنا مع العدو الصهيوني هو اشتباك تاريخي مفتوح، أي تناقض تناحري لا يحسم إلا بالقضاء على مسبباته، وهي وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين كراس حرية للإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، للسيطرة على وطننا العربي ومنعه من التقدم والوحدة الضرورية لتقدمه. في ظل ظرف التجزئة الموضوعي الناتج عن اتفاقيات سايكس بيكو في القرن الماضي ويزور الدول والهويات القطرية، وبعد انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، وتحديداً بعد حرب ١٩٧٣، تم طرح البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لعموم شعبنا الفلسطيني في فلسطين والشتات، المتضمن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها، إن إقرار برنامج الإجماع الوطني الفلسطيني كان إقراراً لبرنامج مرحلي لا ينتهي الصراع مع الكيان الصهيوني بل يبرمه، وكان من الواضح أن قضية اللاجئين - وليس مشكلتهم كما هو منصوب عليه في الاتفاقية سيئة الصيت - هي الحاضرة لاستمرار الاشتباك المفتوح مع الكيان الصهيوني.

لقد أثبت تاريخ نضال شعبنا أن التنازلات المقدمة من قبل القيادة المتفردة في منظمة التحرير الفلسطينية لم تؤد إلى تحقيق أي من الحقوق، وأنه بالرغم من التنازل لم يقبل العدو



الصهيوني قطب إيقاف مشروع الاستيطاني. ففي ظل مفاوضات أوسلو وكامب ديفيد في عهد الجنرالين رابين وبارك تزايد الاستيطان ومصادرة الأراضي ولم تؤد تلك المفاوضات العقيمة إلا لتجميل صورة الكيان الصهيوني عند الرأي العام العالمي وتسويق علاقات هذا الكيان العنصري مع العديد من الدول بما فيها العربية. لقد أدرك شعبنا تلك الحقيقة كما أدركته القيادة المتفردة في منظمة التحرير الفلسطينية عندما رفضت اللاشيء المعروض في واي ريفر. وقد أدى ذلك إلى توحيد قوى شعبنا في تضجير انتفاضته الجبارة التي مازالت مستمرة منذ أكثر من أربع سنوات، حيث أكد أن خيار المقاومة هو الخيار الأنجع لإحقاق الحقوق كما علمتنا تجارب الشعوب، إن خيار المقاومة هو الذي أدى إلى الانقلاب الذي حصل في الرأي العام الأوروبي، وهو الذي يفسر الأزمة البنوية العميقة التي يعيشها الكيان الصهيوني، والمعبر عنها في الأزمة الاقتصادية والأمنية، وانخفاض معدلات الهجرة القادمة وتزايد معدلات الهجرة المعاكسة.

وفي ضوء ما تقدم ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ما يلي:

- 1- ضرورة حشد طاقات شعبنا وقواه الوطنية والإسلامية لإحياء هذه المحاولة (المؤامرة).
- 2- إعطاء جهد أكبر من قبل جميع القوى الفاعلة في مجال حق العودة لإنشاء مؤسسات ولجان عمل، وعقد مؤتمرات لترسيخ هذا الحق في ذهن كل مواطن فلسطيني.
- 3- تشكيل القيادة الوطنية الموحدة، التي تضم جميع القوى والفعاليات الوطنية والإسلامية، لترسم الخط السياسي على قاعدة استمرار المقاومة والانتفاضة، والإعداد لانتخابات ديمقراطية تشمل شعبنا داخل الوطن وفي بلدان الشتات، لاختيار القيادة وترسيخ الديمقراطية الحقيقية، وبناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ديمقراطية.
- 4- استمرار الانتفاضة والمقاومة وتصعيدتها وتطويرها.

بالرغم من أن الخيار الشعبي على مستوى الأمة العربية والشعب الفلسطيني هو خيار المقاومة الشعبية بكافة أشكالها كما نشاهد في العراق المقاوم أو فلسطين الصمود، فقد خرجت من بين فئات السلطة الفلسطينية مجموعة من الأفراد تدعي تمثيلها لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولشعبنا الفلسطيني، وأعلنت توصلا لحل دائم مع ما يسمى معسكر الحماةم الصهيوني، الذي لا يدعي تمثيل أحد رسمياً.

إن أي تدقيق في مسار تلك «الاتفاقيات»، يوضح طبيعتها العنيفة وتهميشها لنضال شعبنا الفلسطيني. ففي فترة الانتفاضة المستمرة لشعبنا التي مثلت رداً على عقم اتفاقيات أوسلو وما لحقتها، وفترة مجازر جنين والخليل ورفح، وخلال قضم أراضي الضفة الفلسطينية، كانت تلك المجموعة تنقل بين عواصم الدول الإمبريالية، وخاصة لندن وواشنطن، موفرة ورقة التوت لجزاري الشعب العراقي المقاوم، باسم البحث عن حل دائم لصراعنا مع أعداء شعبنا وأمتنا.

إن أي قراءة للاتفاقية يظهر بوضوح استهتار الفئة التي تدعي تمثيل الشعب الفلسطيني لحقائق الصراع بين الشعب الفلسطيني وبين العدو الصهيوني. فالحديث عن شعب يهودي هو أولاً إقرار بجواهر الفكر الصهيوني المرفوض حتى من العديد من القوى اليهودية، وثانياً هو ضربة لنضالات شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨، التي ترتبط كافة اتجاهاته، النضال الوطني بالنضال المطليبي

حول الواقع الاقتصادي الفلسطيني الراهن

مقدمة الى الهيئة العامة للإستعلامات - ورشة العمل المعقودة في غزة - ٢٠٠٣/١١/١٩
بمناسبة دخول انتفاضة الأقصى عامها الرابع

غازي الصوراني

الشارع - في اتساع رقعة الفساد والإفساد الاقتصادي والاداري، والمحسوبيات، والتسيب، ويهتان دور القضاء، والانحطاط الاجتماعي عبر إعادة إنتاج التخلف، وتجديد دور رموزه بالتساوق مع مصالح أجهزة السلطة وفي خدمتها.

في هذا المناخ، يأتي الحديث عن مظاهر تراجع الاقتصاد الفلسطيني، وتزايد نسب البطالة والفقر في مجتمعنا، كضرورة، لا تتوقف عند الجانب الاقتصادي، بل تتخطاه نحو البعد السياسي في صيغة موحدة لا انفصام بينهما، بحيث يمكن عبر

النسبة المئوية	العدد	البيان
4.5%	33.494	لم يدرس أبدا
22.1%	164.490	درس من سنة إلى ست سنوات
24.1%	139.376	7-9 سنوات دراسية
27%	200.961	10-12 سنة دراسية
22.3%	165.979	أتم 13 سنة دراسية فأكثر
100%	744.300	إجمالي القوى العاملة

هذا المدخل، الدعوة الى عملية التغيير الديمقراطي الداخلي التي تستهدف وقف ومواجهة كل مظاهر الخلل والفساد ومحاسبة رموزه وأدواته، وهي عملية باتت أكثر من ملحة لانتشال مجتمعنا من هذا المأزق الخطير الذي يهدد وجودنا وأرضنا وقضيتنا، بعد أن وصلت قيادة السلطة الفلسطينية الى وضع لم تعد قادرة فيه - لأسباب ذاتية

2.356.810	الضفة الفلسطينية
1.364.733	قطاع غزة
3.721.543	المجموع (حوالي 572500 أسرة)

وخارجية - على تقديم إنجازات جديدة ملموسة ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل أيضاً على الصعيد الاقتصادي التنموي والاجتماعي، الأمر الذي يفترض ضرورة تفعيل معطيات ومفاهيم وأدوات وأطر التغيير التي تسعى إلى فرض البديل الشعبي الديمقراطي، واللياته المرتبطة ببدء وطريقة القيادة والمؤسسات المنسجمة معه، والمستجيبة لمتطلباته من جهة، وصياغة البرنامج أو الاستراتيجية الوطنية الاقتصادية - التنموية - المجتمعية من جهة ثانية، على قاعدة أن التغيير الشامل صوب الإصلاح الجذري المطلوب عبر حاضنته الشعبية وأطره الطبيعية المنظمة (أحزاباً ونقابات ومنظمات جماهيرية ومؤتمرات وقوى مجتمعية ضاغطة) بات في هذه المرحلة سفينة النجاة التي يمكنها إنقاذ شعبنا من شروط «الإصلاح السياسي والاقتصادي» الأمريكي

تقدر القوى العاملة الفلسطينية كما في نهاية العام ٢٠٠٣ بحوالي ٧٤٤٣٠٠ شخصاً أو ما يعادل ٤٠% من القوى البشرية، و٢٠% من مجموع السكان، وهي نسبة منخفضة قياساً ببعض الدول العربية مثل مصر التي تزيد فيها القوى العاملة عن ٣٠% من مجموع السكان، والأردن ٢٧% وسوريا ٢٨%، وفي «إسرائيل» ٣٩%.

تتراوح نسبة العاملين في القطاع الخاص من أصل مجموع القوى العاملة بين ٦٠-٦٥%، ويتوزع باقي العاملين على القطاع العام (السلطة) ووكالة القوت، والمؤسسات الأهلية غير الربحية الأخرى.

تنوزع القوى العاملة كما يلي:

- الضفة الفلسطينية ٣٦٢، ٤٧٦ فرداً بنسبة ٦٣.٣% من إجمالي القوى العاملة الفلسطينية.
- قطاع غزة ٩٤٦، ٢٧٢ فرداً بنسبة ٣٦.٧% من

اجمالي القوى العاملة الفلسطينية. يبلغ معدل الإعالة - حسب إجمالي القوى العاملة أعلاه - في الضفة والقطاع ٥/١ تقريباً (كل فرد يعمل، يعيل ٥ أفراد) ويرتفع هذا المعدل إذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار ارتفاع نسبة البطالة.

توزيع القوى العاملة كما في نهاية هذا العام ٢٠٠٢ حسب عدد سنوات الدراسة:

النسبة المئوية	العدد	البيان
4.5%	33.494	لم يدرس أبدا
22.1%	164.490	درس من سنة إلى ست سنوات
24.1%	139.376	7-9 سنوات دراسية
27%	200.961	10-12 سنة دراسية
22.3%	165.979	أتم 13 سنة دراسية فأكثر
100%	744.300	إجمالي القوى العاملة

- البطالة:

بلغت نسبة البطالة كما في عام ٢٠٠٢، ٣٣.٦% (أو ما يعادل ٢٥٠ ألف عاطل عن العمل) حيث ترتفع نسبة الإعالة في هذه الحال إلى ٧.٥ فرداً لكل عامل (المعروف أن نسبة العمالة التامة، قبل الانتفاضة في أيلول ٢٠٠٠، وصلت الى ٨.٨%، والبطالة لم تتجاوز ١٤.٢% حسب العديد من المصادر، وقد أدى الحصار العدواني العسكري والاقتصادي الذي مارسه العدو الصهيوني منذ نهاية أيلول ٢٠٠٠ إلى ارتفاع نسبة البطالة إلى حوالي ٤٥% عام ٢٠٠١ هبطت إلى ٣٣.٦% عام ٢٠٠٢ (٤).

على أي حال يجب أن ندرك طبيعة تكون وامتداد الجذور العميقة التي أنبتت وتنتبت البطالة والفقر، عبر معرفة أسبابها الرئيسية، التي تتمثل في التخلف والتبعية الاقتصادية، وفي فشل جهود التنمية الداخلية لأسباب داخلية باتت معروفة للجميع، وبالتالي فإن علاج الخلل في بنية ومكونات الواقع الاقتصادي الفلسطيني الراهن مرتبط إلى حد كبير بمواجهة وعلاج الأزمات الداخلية المتركمة عندنا طوال العشر سنوات، والتي تتمحور إلى حد بعيد تحت عنوان ظاهرة الفساد، التي استشرت في مجتمعنا - كما في مجتمعنا العربي - بحيث لم تعد مسألة حسابية توضحها أو تعكسها الأرقام، بل باتت أخطر وأكبر من كميات الأموال المدفوعة على شكل رشوات أو عمولات أو سمسة أو خاوات، ذلك أن ممارسات الفساد والإفساد أنتجت كثيراً من جوانب الخلل الذي يصيب أخلاقيات العمل وقيم المجتمع معاً، كنتيجة مباشرة وغير مباشرة لإنتشار «روح المضاربة» التي تطغى

وتسود على روح المشروع أو العمل المنتج، بحيث أضحي اقتصادنا الفلسطيني يشبه ما يسميه الاقتصادي الإنجليزي «جون ماينرد كينز» باقتصاد الكازينو، الذي يكون فيه الرواج الاقتصادي نتاج المضاربة على أسعار الأصول في أسواق العقارات والبورصات، وليس نتاجاً للتراكم الرأسمالي، الأمر الذي يكرس ما يسميه «كينز» برأسمالية المحاسيب، وهي ظاهرة تراكمت عندنا في غياب سيادة القانون وأنظمة الرقابة والمساءلة والشفافية، وفي ظل تطبيق مبدأ «أهل الثقة» على حساب مبدأ «أهل الخبرة والكفاءة»، فسي مثل هذا المناخ لا نستغرب أبداً إندفاع العديد من أصحاب الثروات الطائلة غير المشروعة، نحو التعاطي مع مفهوم رأسمالية

السلب والنهب، ولا نستغرب أيضاً سيادة هذه الحالة الذهنية لدى قطاعات محدودة ولكن مؤثرة من الناس، تبرز الفساد، وتجد له من الذرائع للاستمرار والتوسع على مجمل حياتنا اليومية، وتديرياً - في ظل هذا الواقع أو هذه الصيرورة الشاذة - تصبح الدخول أو الثروات غير المشروعة، «الخفية والعلنية» الناتجة عن الفساد، هي الدخول الأساسية التي تفوق أحياناً في قيمتها تلك الدخول المشروعة الناتجة عن العمل في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، مما يجعل الفرد في بلادنا يفقد الثقة في أهمية العمل الأصلي، كما يفقد دافعيته الذاتية تجاه أي عمل منتج أو وظيفي، وبالتالي يقبل فكرة التفریط التدريجي في معايير أداء الواجب العام في وظيفته أو في مهنته في هذا القطاع الاقتصادي أو ذاك، بما يمهّد الطريق - وبالتدرج أيضاً - للتفریط فيما هو أخطر بالنسبة لقضايانا الأساسية الكبرى.

أداء الاقتصاد الفلسطيني ١٩٩٤-٢٠٠٣: أورد فيما يلي تطورات الأداء الاقتصادي الفلسطيني واتجاهاته الرئيسية، وأبرز تحدياته، طوال العشر سنوات العجاف الماضية عموماً، ومنها سنوات الانتفاضة حتى العام ٢٠٠٣ خصوصاً، عبر المؤشرات التالية:-

١- تراجع مستوى المعيشة عام ٢٠٠٢ إلى أكثر من الضعف قياساً بعام ١٩٩٣، بفضل التضخم وارتفاع الأسعار وثبات الأجور والتوزيع غير العادل للثروة والدخل، بسبب تفاقم العوامل الداخلية المسالمة من ناحية، وغياب الاستراتيجية الوطنية التنموية التي تستجيب لضرورات الصمود والمقاومة والاستقلال والبناء

الداخلي من ناحية ثانية، ودون أن نقلل من دور العدو الإسرائيلي كسبب وتناقض رئيسي أول في تدمير مقدراتنا الوطنية ومواردنا وقطاعاتنا الاقتصادية.

٢- عدم حدوث أي تطورات جوهرية ملموسة بالمعنى الإيجابي، في البيئة التشريعية^(٥) الاقتصادية، وتواصل النشاط الاقتصادي للسلطة (الحكومة) دون إقرار مرجعية قانونية موحدة ومتكاملة - تنظم عمل القطاع الحكومي والعام ومجالاته وآلياته، مما ساهم في استمرار معاناة اقتصادنا الفلسطيني من حالة الانكشاف المستمر، والهشاشة والضعف، خاصة وأن هذا الانكشاف تزايد مع استمرار الحصار والعدوان الإسرائيلي عموماً، وقيود بروتوكول باريس خصوصاً، الأمر الذي أدى إلى تعميق تبعية اقتصادنا للاقتصاد الإسرائيلي ضمن إطار الغلاف الجمركي والسياسات والمواصفات الإسرائيلية، إلى جانب الآثار الضارة والمريرة الناجمة عن توحيد أسعار السلع بيننا وبين السوق الإسرائيلي، دون الأخذ بعين الاعتبار ذلك الفرق الهائل في الدخل الفردي السنوي في إسرائيل الذي وصل عام ١٩٩٩/٢٠٠٠ إلى ١٩ ألف دولار وهبط بفعل وتأثير الانتفاضة الى حوالي ١٦ ألف دولار عام ٢٠٠١، في حين أن هذا الدخل الفردي السنوي هبط إلى أقل من ٩٥٢ دولار في الأراضي الفلسطينية نهاية عام ٢٠٠٢.

٣- تراجع القطاعات الإنتاجية عموماً والزراعة بصورة خاصة، حيث لم يتجاوز مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي ٤.٦% - ٨% فقط منذ عام ١٩٩٩ حتى نهاية عام ٢٠٠٢، (حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ومعهد ماس، وتقرير التنمية الفلسطيني لعام ٢٠٠٢)، كما تراجع قطاع الصناعة إلى نسبة ١٢.٦% عام ٢٠٠١ بعد أن وصل عام ١٩٩٩ إلى ١٦.٠%.

٤- تزايد محدودية سوق العمل الفلسطيني على خلق فرص عمل جديدة حيث لم يستطع هذا السوق، في سنوات ما قبل الانتفاضة، أن يوفر أكثر من ٣٧% من إجمالي فرص العمل الجديدة خلال تلك السنوات، جزء هام منها في القطاع العام، فيما وفر سوق العمل الإسرائيلي والمستعمرات الاستيطانية ٦٣% من فرص العمل الجديدة، لترتفع بذلك الأهمية النسبية للعمالة الفلسطينية في سوق العمل الإسرائيلي من ٢١.٧% في نهاية عام ١٩٩٨ إلى ٢٢.٩% في نهاية عام ١٩٩٩^(٦) وانخفضت هذه النسبة الى ١٠.٣% عام ٢٠٠٢ بسبب عوامل الحصار والإغلاق المتكرر.

إن معالجتنا للأوضاع الاقتصادية الفلسطينية، بمنطق التشخيص والتحليل وكشف المخاطر الراهنة والمستقبلية، هو أحد المدخل الضرورية لصياغة البدائل الاقتصادية الوطنية والمجتمعية، الهادفة لإخراج الواقع الفلسطيني الحالي من مأزقه الراهن.



ففي هذه الظروف التي تتزايد فيها مظاهر العنجهية الإسرائيلية الاحتلالية، وما يترتب عليها من خطوات عملية لخلق معطيات وحقائق أمر واقع جديدة، بالتهويد والاستيطان والحداد الفاصل والمزيد من تجريف الأراضي والاستيلاء عليها، والاعتقالات والقتل والمطاردة والاعتقال، والقصف وهدم البيوت، والحصار والضغط الاقتصادي والتجويع في إطار الصراع التناحري والتناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني. ولكن، ومع إدراكنا لمخططات هذا العدو، الهادفة إلى تدمير مقدرات شعبنا وصموده السياسي والاقتصادي، عبر منهجيته العدوانية شبه اليومية، التي فاقت المنهجية النازية في عنصريتها وبشاعتها وآثارها المدمرة، إلا أننا ندرك أيضاً العوامل الفلسطينية الداخلية السالبة والمتفاقمة في قلب هذا الصراع، وفي موازاته، حيث تتجلى الظروف الفلسطينية المعقدة في أحلك صورها في ظل الانتفاضة وعلى عتبات العام الرابع من تفجرها - رغم حدة وبشاعة العدوان الصهيوني واستمراره - عبر تناقضات اقتصادية وسياسية ومجتمعية داخلية، تراكمت عبر مسار السلطة طوال العشر سنوات العجاف الماضية، الذي تزايدت فيه واتسعت مخاطر ممارسات أجهزتها ومؤسساتها، وانعكاسها على جماهيرنا الشعبية بصورة سلبية خطيرة ومؤثرة، لم يعهدها شعبنا من قبل، تتجسد هذه الممارسات - التي باتت حديث

٥- بالنسبة لتطورات التجارة الخارجية الفلسطينية، فما زالت إسرائيل تهيمن على هذه التجارة حيث أن نسبة وارداتنا منها تصل إلى ٧٣٪ مقابل ١.٦٪ فقط من الدول العربية، و ٢٥.٤٪ من باقي بلدان العالم، ولا يختلف الأمر بالنسبة للصادرات التي تصل حصة إسرائيل فيها أكثر من ٩٢٪، هذه الأرقام تجعل الاهتمام بتطوير العلاقة التجارية مع البلدان العربية باتجاه توسيع قاعدة المصالح المشتركة وتعزيز فرص نمو هذا التعاون من الأولويات الضرورية في هذا الجانب.

٦- تنامي الاتجاه لانخفاض العون الدولي للشعب الفلسطيني، وتراجع المعونات من الدول العربية «الشقيقة»، التي توقفت عن الدعم - منذ منتصف عام ٢٠٠٢ - إلا بإذن خاص من واشنطن. ٧- استمرار محدودية حجم الائتمان المصرفي حيث لم ترز نسبة القروض للودائع حسب المراقب الاقتصادي - ماس العدد التاسع - عن ٢٩.٦٪ عام ٢٠٠٢ رغم ظروف الانتفاضة ومعاناة شعبنا وتضحياته، التي تستوجب من البنوك أن تقوم بدورها الوطني في إطار منهج وخطه وطنية، تقوم بالدرجة الأولى على تشغيل الجزء الأكبر من الودائع التي تزيد عن ٢.٧ مليار دولار في القطاعات الإنتاجية الفلسطينية عموماً، والصناعة والزراعة خصوصاً.

٨- تقدر الخسائر الاقتصادية الشاملة بسبب العدوان الهمجى الصهيوني وتدميرته لمقدرات شعبنا بحوالي (١٢) مليار دولار خلال الثلاث سنوات الماضية.

٩- ارتفاع نسبة الفقراء إلى إجمالي عدد السكان من ٢١٪ عام ١٩٩٩ إلى ٦٠٪ عام ٢٠٠٢ تتوزع بنسبة ٥٥٪ في الضفة و ٧٠٪ في قطاع غزة، وهؤلاء الفقراء يستهلكون أقل من ٢٠٪ من السلع والخدمات؛ وفي نهاية عام ٢٠٠٠ بلغت نسبة الفقر المنقح ٤٠٪ (٧) في الضفة والقطاع أي أقل من (١٥٥٠ شيكل) لكل أسرة شهرياً، ولم تتراجع هذه النسبة في عامي ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ بصورة ملموسة، آخذين بعين الاعتبار أن ظاهرة الفقر عندنا، لا تتوقف عند نقص الدخل وانخفاض مستوى المعيشة فحسب، بل تشمل أيضاً غياب الإمكانات لدى العامل وأسرتهم للوصول إلى الفرص الحياتية ضمن الحد الأدنى الضروري، فمع استثناء حالة الفقر (الملقح بالذات)، يتوالد المزيد من الإفطار في التقييم الاجتماعية، بما يفتح الياب نحو كافة الاحتمالات، فالمعروف أن ظاهرة الفقر لا تتوقف على العجز عن تأمين الاحتياجات المباشرة فحسب، بل تتخطى ذلك - في ظل تفاقم الفساد وغياب القانون - إلى اتساع مظاهر الفقر في التقييم، والفقر في النظام والقانون والعدل، وفي هذا السياق فإننا نؤكد أن تزايد نمو الفئات

والشرائح الفقيرة في مجتمعنا - وهي الأغلبية الساحقة - لا يتحقق كنتيجة للعدوان الإسرائيلي المتواصل فحسب، ولكن أيضاً كنتيجة لسياسات السلطة وأجهزتها ومؤسساتها وأفعالها الاقتصادية الطفيلية الضارة على الصعيد الداخلي، مما يؤدي موضوعياً إلى زيادة مساحة ونوعية وحجم التدهور الاقتصادي والاجتماعي، وما يعنيه ذلك من استمرار التراكم للعاطلين عن العمل، وحجم الفقر بكل أشكاله ودرجاته، إلى جانب مظاهر التردى السياسي والمجتمعي الأخرى المتزايدة.

١٠- انخفض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠٠٢ بنسبة ٢٨.٤٪ عما كان عليه عام ١٩٩٤، حيث بلغ آنذاك ١٣٣٠.٢ دولار للفرد في السنة، تراجع إلى حوالي ٩٥٢ دولار عام ٢٠٠٢، ومن المحتمل بقاءه عند هذا المعدل في نهاية هذا العام ٢٠٠٣، خاصة في قطاع غزة، إذا استمرت الظروف الراهنة دون تغيير بالمعنى الإيجابي، خاصة في أوضاعنا الداخلية.

١١- انخفض الناتج المحلي الإجمالي (٤٥١٦) مليون دولار عام ١٩٩٩ إلى (٤٤٤١) مليون دولار عام ٢٠٠٠، وإلى (٤٠٩٣) مليون دولار عام ٢٠٠١، وإلى (٣٩٩٠) مليون دولار عام ٢٠٠٢، أب بمعدل تراجع مقداره ٢٤.٩٪ قياساً بعام ١٩٩٩ وقد يهبط إلى أقل من ذلك في نهاية هذا العام ٢٠٠٣، فيما لو استمرت الظروف والعوامل الداخلية والخارجية على ما هي عليه.

١٢- إذا كان من المتفق عليه، من الناحية الموضوعية، إن القطاع الخاص عموماً، محكوم بعوامل الريح والمصالح الخاصة، فإن ظروف تطور القطاع الخاص الفلسطيني فرضت مزيداً من أشكال ومظاهر التشوه في بنيته وهيكلته من ناحية، وعمقت نزوعه نحو تحقيق مصالحه الخاصة عبر نشاطه، بل وارتباطه أحياناً بالسوق الإسرائيلي، مما عزز بروز الأناثية والمصالح الفردية الاستغلالية - الطبقية - لمعظم أطراف أو مكونات القطاع الخاص الفلسطيني، كمظهر يشكل أحد أهم سمات ومكونات الغالبية العظمى من مؤسسات هذا القطاع، ومما شجع على ذلك من مخاضات الفساد والفوضى والرشوة والمحسوبيات والخبازات من ناحية، والطابع الفردي شبه العائلي لمؤسسات القطاع الخاص من ناحية ثانية، الأمر الذي ساهم في اعاققة تطورها الرأسمالي التراكمي، وأعاقت تطورها التقني، مما ساعد على توسع هذه المؤسسات أو المنشآت الصغيرة بما يتناسب مع طابعها الفردي المتخلف شبه المنغلق، فقد بلغ عدد هذه المنشآت عشية الانتفاضة وفرض الحصار في أواخر أيلول ٢٠٠٠، (٦٨٠٥٣) مؤسسة يعمل فيها (٢٠٤) آلاف مستغل.

هبطت إلى (٦٦١٩٣) منشأة عام ٢٠٠١ (٩)، وهبط عدد المشتغلين إلى (٢٠٣) ألف عامل، أما بالنسبة لتوزيع المنشآت حسب النشاط الاقتصادي كما يلي: ٥٨٪ في التجارة، ٢٢٪ في الصناعة ٢٠٪ في القطاعات الأخرى، أما العاملين في هذه المؤسسات الخاصة، فقد بلغت نسبة العاملين في التجارة ٣٧٪ وفي الصناعة ٣٦٪ وفي الزراعة والأنشطة الأخرى ٢٧٪، والملفت للانتباه أن نسبة العاملين بأجر في قطاع التجارة حوالي ٢٠٪ فقط من إجمالي العاملين فيه - حسب ماس/ المراقب الاقتصادي/ العدد السادس.

ويهدد هذه المناسبة، ومع الإقرار بمسؤولية العدو الصهيوني وحصاره وعدوانه المستمرين، كسبب هام من أسباب التراجع والتدهور الاقتصادي وغيره، إلا أننا يجب أن لا نغفل دور السياسات الداخلية عندنا طوال العشر سنوات العجاف الماضية عموماً وسنوات الانتفاضة الثلاث الأخيرة خصوصاً، التي عمقت مظاهر الخلل والهبوط في كافة القطاعات الإنتاجية وغير الإنتاجية في القطاعين الخاص والعام على حد سواء، بما يستدعي العمل الجاد صوب تفعيل العملية التغييرية الديمقراطية الداخلية التي يجب أن يركز محورها أو جانبها الاقتصادي، على المفاهيم والخطوط العامة للاستراتيجية التنموية التي يجب العمل على بلورتها وتبنيها للخروج من هذا المأزق الحاضر إلى المستقبل، وفي هذا السياق أقدم فيما يلي اقتراحاً لمجموعة من الأسس المكونة لهذه الاستراتيجية:-

أولاً: حصر كافة البيانات والمعلومات الخاصة بالموارد الطبيعية والبشرية الفلسطينية عبر فريق وطني اقتصادي متخصص، تمهيداً للسيطرة المباشرة عليها وإدارتها، كهدف وطني يستحيل بدون تحقيقه تطبيق أي خطة تنموية فلسطينية ثانياً: خلق مقومات اقتصاد المقاومة والصمود انسجاماً مع متطلبات هذه المرحلة، وما يعنيه ذلك من العمل الجاد على تطبيق سياسة اقتصاد التقشف أو المخيمات أو المناطق الفقيرة، بكل ما يعنيه من إجراءات تلقى - بعد المحاسبة القانونية - امتلاك أي مواطن أو متاخات الفساد والفوضى والرشوة والمحسوبيات والخبازات من ناحية، والطابع الفردي شبه العائلي لمؤسسات القطاع الخاص من ناحية ثانية، الأمر الذي ساهم في اعاققة تطورها الرأسمالي التراكمي، وأعاقت تطورها التقني، مما ساعد على توسع هذه المؤسسات أو المنشآت الصغيرة بما يتناسب مع طابعها الفردي المتخلف شبه المنغلق، فقد بلغ عدد هذه المنشآت عشية الانتفاضة وفرض الحصار في أواخر أيلول ٢٠٠٠، (٦٨٠٥٣) مؤسسة يعمل فيها (٢٠٤) آلاف مستغل.

ثالثاً: فك الارتباط والتبعية والتكيف مع الاقتصاد الإسرائيلي ووقف هذا التضخم في حجم الواردات، وفرض الرسوم الجمركية العالية على الكماليات المستوردة مقابل تخفيف الرسوم على الواردات الأساسية، ووقف عمليات الاستيراد غير المباشر من السوق الإسرائيلي، الأمر الذي

يعني إلغاء بروتوكول باريس.

رابعاً: التخطيط التأشير والمركزي لتفعيل العملية الإنتاجية في الصناعة والزراعة، والعمل على تفعيل العلاقة بين هذين القطاعين بما يخدم تطوير المنتجات الصناعية المعتمدة على الإنتاج الزراعي، وإقرار مشروع القانون الزراعي بهدف تحديد وإرساء استراتيجية زراعية فلسطينية تتناسب مع أهمية القطاع الزراعي. خامساً: وضع سياسة تنموية زراعية أنية ومستقبلية تقوم على التخطيط وتفعيل دور مؤسسات الإقراض الزراعي والبنوك لتقديم الدعم للمزارعين الفقراء، وتطوير وتوسيع الأراضي الزراعية وأراضي المراعي والشروة الحيوانية.

سادساً: مراعاة الحفاظ على ثبات الأسعار للسلع الأساسية الضرورية للفقراء ورفع أجور الفئات والشرائح الاجتماعية من ذوي الدخل المحدود.

سابعاً: تطوير دور القطاع العام والتعاوني والمختلط بعيداً عن أشكال الاحتكار، بما يدفع إلى توسيع القاعدة الإنتاجية الفلسطينية، والسوق الفلسطيني، على نحو يؤدي إلى إيجاد المزيد من فرص التشغيل المتوازنة، لتفيد العاملة، في الإنتاج والسوق المحليين من ناحية، ويسهم في ضمان معدلات عالية - نسبيًا - من النمو لقطاعي الإنتاج الرئيسيين - الزراعة والصناعة - من ناحية ثانية. وفي هذا السياق فإن من الواجب والضروري، الأخذ بمقترحات البرنامج العام للتنمية الذي أشرف عليه المفكر الاقتصادي الفلسطيني د. يوسف صايغ إذ أن هذه المرحلة وضرورتها الاقتصادية السياسية معا تقتضي من كافة المسؤولين في السلطة الأخذ بتلك المقترحات بعد إهمال طويل وغير مبرر لها.

ثامناً: إنشاء وتفعيل المؤسسات الاقتصادية الكبرى في قطاع الصناعة على نمط الشركات الصناعية المساهمة العامة والمختلطة لمواجهة هذا الضعف في البنية الصناعية ونقلها من طابعها الحرفي - الفردي - العائلي إلى طابعها الإنتاجي العام الكفيل وحده بتطوير القطاعات الإنتاجية في بلادنا.

تاسعاً: العمل بكل جديده، وغير كافة السبل والضعف السياسية الممكنة، من أجل تفعيل وتوسيع مجال التبادل التجاري الفلسطيني العربي ووقف احتكار السوق الإسرائيلي لهذه العملية. وكذلك التركيز على فتح سوق العمالة العربي، في مختلف البلدان، أمام العمالة الفلسطينية، الماهرة وغير الماهرة، وفقاً للقوانين، تلك البلدان، بعد أن نقلت

ذلك إطلاقاً في هوية الفلسطيني أو يتخذ أي بعد سياسي يتناقض مع حقها في العودة أو الإقامة الدائمة في وطنه، علماً بأن السوق العربي في دول الخليج والسعودية يستوعب أكثر من ثلاثة ملايين عامل أجنبي سنوياً، في حين أن أعلى معدل للبطالة عندنا في فلسطين لا يتجاوز ١٠٪ من هذه العمالة الوافدة إلى هذه الدول من الهند وسريلانكا وباكستان وإيران ٩١١.

عاشراً: متابعة تنفيذ البرامج والدراسات والتوصيات المتعددة الخاصة بتفعيل دور رأس المال الفلسطيني في الشتات، رغم وعينا بارتباطه برأس المال العالمي المعولم.

إن هذه الرؤية، أو الخطوط العامة الأولية المقترحة، لا بد لها لكي تملك مقومات التغيير الإيجابي المطلوب، أن تتبنى منهجاً علمياً، وفلسفة ذات مضمون وطني وقومي، تقوم على الإيمان العميق بوجود تمتع شعبنا الفلسطيني بحقوقه وحرياته الأساسية وممارسته لها، كمقدمة تؤدي إلى وقف تراكبات الأزمة الراهنة، وتفاقم تناقضاتها المحكومة بثنائية غير منطقية أو منسجمة، تتراوح بين فريدة القرار وأحادية الخطاب في السلطة وأجهزتها من جهة، وبين جماعية المعالجة والتضحيات والأمال الكبيرة من جهة ثانية، وبالتالي فإن إلغاء هذه الثنائية المتناقضة هو سبيلنا الوحيد نحو نظام الحكم الديمقراطي الوطني، العادل والقوي، الممتلك للفهم السليم والواضح لتوظيفته الجوهرية بشقيها: الوطني والديمقراطي الداخلي بما يضمن رسم السياسات الاستراتيجية المعبرة عن مصالح جماهير شعبنا، يمثل ما يضمن أيضاً توجيه وزارات ومؤسسات وأجهزة السلطة نحو تحقيق تلك السياسات أو الرؤى في الاقتصاد كما في السياسة، بكفاءة عالية تخدم أهدافنا وتوابتنا الوطنية العامة يمثل ما تخدم وترتقي بأهدافنا المطلوبة الداخلية دون أي انفصام بينهما.

على أن تطبيق هذه الخطة الاستراتيجية مرهون بعملية تغيير جدي وعميق في كافة مؤسساتنا من جهة، ومشروط بتمسكنا بتوابتنا الوطنية الفلسطينية وتعزيز خيار شعبنا الفلسطيني في إقامة نظامه السياسي المستند والملتزم بالبيات ومفاهيم الديمقراطية التي تقوم على التعددية والحرية، وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص وسيادة القانون وقواعد المحاسبة ضد أدوات ورموز الفساد من جهة أخرى، إذ أن تطبيق هذين الشرطين في إطار الرؤية الاستراتيجية سيمنكنا من الحديث بثقة عن تحقيق أهم هدفين من أهدافنا الوطنية على الصعيد الداخلي هما:-

١- محاسبة رموز الفساد والاستبداد، ووقف استخدام السلطة، من قبل الكثف من رموزها،

كجسر لجمع وتراكم الثروات الطفيلية غير المشروعة على حساب قوت وحياة الجماهير الشعبية، حيث أدى هذا الاستخدام الأثافي البشع، إلى فقدان مساحات واسعة من جماهيرنا لدورها وحريتها، إن على صعيد ممارستها لحقها في نقد ومواجهة مظاهر الخلل الداخلي أو على صعيد حقها في الحياة والاستقرار.

٢- تقوية وتعزيز الوحدة السياسية لمجتمعنا وتوفيق قدراته على الصمود والمقاومة حتى طرد الاحتلال وتفكيك وإزالة مستوطناته على طريق الحرية والولة المستقلة والتنمية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية.

المصادر:

- ١- المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء- فلسطين في أرقام ٢٠٠٢- رام الله، مع إضافة نسبة ٤.٥٪ زيادة سكانية لعام ٢٠٠٢.
- ٢- المصدر: د.عبد القادر عابد، صائب الشاحي- جيولوجية فلسطين - مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين - القدس - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ - ص ٢٥٦.
- ٣- المراقب الاقتصادي - العدد رقم ٩ - معهد ماس - رام الله - ديسمبر - ٢٠٠٢.
- ٤- المصدر: المراقب الاقتصادي ماس - رام الله - ٢٠٠٢ صفحة المؤشرات الرئيسية للضفة الغربية وقطاع غزة، علماً بأن الجهاز المركزي للإحصاء أورد نسبة البطالة ٢١.٢٪ لعام ٢٠٠٢ في كراس مسح القوى العاملة الصادر في أبريل ٢٠٠٢ - ص ٤٩.
- ٥- تم إقرار مجموعة من القوانين ذات الشأن الاقتصادي بلغت ٢٢ قانون حتى نهاية ٢٠٠٢/١٠/٢٢، إضافة لإقرار ١٠ قوانين أخرى من المجلس التشريعي وإحالتها إلى الرئيس للمصادقة عليها، وأيضاً يوجد مشروع قانون في مراحل مختلفة من المناقشات في المجلس التشريعي حتى نفس التاريخ، وهي مشاريع ضرورية لتوفير البيئة القانونية ودعم المناخ الاستثنائي في الاقتصاد الفلسطيني. (المصدر: ماس العدد التاسع).
- ٦- المصدر: المراقب الاقتصادي، (ماس) العدد السادس، نيسان ٢٠٠٠.
- ٧- المصدر: المراقب الاقتصادي - معهد ماس - العدد التاسع - كانون أول ٢٠٠٢ - المؤشرات الرئيسية.
- ٨- المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الحسابات القومية، الأسعار الجارية والثابتة ١٩٩٤-٢٠٠٠، نيسان ٢٠٠٢ ص ١٢-١٥. والمراقب الاقتصادي- ماس - العدد ٩، أما بيانات عام ٢٠٠١ فقد تم الحصول عليها من تقرير التنمية البشرية الفلسطيني لعام ٢٠٠٢، وبالنسبة لعام ٢٠٠٢ فقد قلنا بإيراد مجموع الناتج المحلي حسب تقدير البنك الدولي- نشرة مركز تطوير القطاع الخاص الصادرة باللغة الإنجليزية- يوليو- ٢٠٠٢- الإصدار رقم ٢- ص ٩.
- ٩- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني - سلسلة المسوح الاقتصادية - ٢٠٠١ - نيسان/أبريل ٢٠٠٢ - ص ٤٣.

قطاع غزة .. صمود أسطوري في منطقة منكوبة

تقرير: أحمد م. جابر

منذ ست وثلاثين عاماً يخضع الشعب الفلسطيني عموماً، وأهالي قطاع غزة على وجه الخصوص، لجرائم حرب منظمة متجسدة في احتلال مستمر ضمن ظروف لا أشبع ولا أبقى. ومنذ بداية الانتفاضة الثانية يخضع القطاع وسكانه لحصار جعل الأوضاع تقترب من مستوى كارثة محققة. ولا نبالغ إذا قلنا أن القطاع تحول عبر ممارسات الاحتلال ونتيجة للعدوان المستمر على الأرض والبشر والشجر إلى منطقة منكوبة بكافة المعايير. وأن العدو الصهيوني يرتكب يومياً ما لا يحصى وما يصعب رصدته وتسجيله من جرائم الحرب التي يعاقب عليها القانون الدولي وتحرمها كل الاتفاقيات الدولية.

نسعى في هذا النص إلى رصد الإطار العام للكارثة، التي تقع على قطاع غزة، وأهاليه وبتكيز الضوء على بيت حانون ورفح أكثر المناطق تضراً.

الحصار الشامل الذي ازداد تعقيداً مع إغلاق الممر الأمن الوحيد.

يضاف إلى حالة الحصار الشامل، حصار جزئي متعدد على عدد من المدن والمناطق حيث تحول القطاع إلى دوائر معزولة متداخلة، حصار داخل حصار، كما هو حال المواصي في خان يونس، ورفح الخاضعة لحصار شديد، يضاف إليه استمرار منع التجول على وادي السلقا والقرارة واستمرار حصار منطقة السفا.

2- انتهاك الحق في التعليم:

نتيجة لحالة الحصار والعزل، تم إغلاق عشرات المدارس إضافة

للجامعات، ويعاني التلاميذ أشد الأحوال في سبيل الوصول إلى مدارسهم الواقعة في أحيان كثيرة في مناطق محاصرة بعيدة عن منازلهم في ظل قطع الطرق وكثرة الحواجز والقصف المستمر، ويضاف إلى ذلك حرمان آلاف الطلاب من مواصلة دراستهم في جامعات الضفة نتيجة إغلاق القطاع وفصل الضفة عن القطاع. ويلحق بذلك ما يلحق به من أذى نفسي شديد يتعرض له التلاميذ والطلاب إضافة إلى تدمير العملية التعليمية مما يهدد جيلاً كاملاً من الفلسطينيين بأعوام من

قطاع غزة بمحافظة الخمس «شمال غزة، غزة، دير البلح، الوسطى، خان يونس، ورفح، يشكل جزءاً من

السهل الساحلي الفلسطيني الواقع جنوب غرب فلسطين، ويشكل مستطيلاً طويلاً وضيقاً متفاوت، يبلغ طوله ٤٥ كم، وعرضه ٧.٥ كم شمالاً و١٢ كم نهاية الجنوب، بمساحة إجمالية تبلغ ٣٦٥ كم^٢ ويتعداد سكانه حتى نهاية عام ٢٠٠٣ يبلغ ٣٦٤.٧٣٣ نسمة.

وتمارس قوات الاحتلال الصهيوني سلسلة من الإجراءات البشعة بحق السكان عموماً يمكن إجمالها بمايلي:-

١- انتهاك الحق في حرية التنقل والحركة: حيث وعبر سيطرة القوات المحتلة الشاملة على المعابر والمنافذ المظلة على القطاع، فإنها تتحكم كلياً بحرية المرور من وإلى القطاع، مما ينعكس سلباً على مناحي الحياة الاجتماعية والصحية والثقافية والاقتصادية للأهالي، ويعتبر معبر رفح هو المنفذ الوحيد لسكان القطاع على العالم الخارجي، إضافة إلى مطار غزة المغلق منذ بداية الانتفاضة، ويمارس جنود الاحتلال أشنع أساليب التعذيب المادي والنفسي ضد المواطنين الفلسطينيين في الحركة والتنقل عبر التنكيل بهم على الحواجز والمعابر، التي تقطع أوصال القطاع إلى أجزاء متناثرة.

وتنعكس هذه الإجراءات في عسف لا نهائي يؤدي إضافة إلى انتهاك الحق في الحركة داخل

٣- انتهاك الحق في العمل:

حيث يتميز قطاع غزة بطاقة عمل كبيرة بدون فرص عمل ومجالات تتيح لأبنائه العمل في ظل ظروف تحقق الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية، وليس بمجهول أن أسواق العمل الإسرائيلية هي المكان الوحيد، إضافة إلى الضفة، وفي ظل هذه الأوضاع تمنع سلطات العدو العمال من التوجه للعمل إلا ضمن ثلاث شروط قاسية هي أن يتجاوز العامل ٣٧ عاماً من العمر، وأن تكون صفحته الأمنية نظيفة، وأن يتم طلبه من قبل صاحب العمل الأول، وطبعاً في ظل ظروف الانتفاضة وتحديد أعداد ضئيلة من رخص العمل يبدو مستحيلًا تحقيق أي شرط من الشروط، إضافة إلى عدم التمكن من الذهاب إلى الضفة للعمل دون النظر إلى الدمار الحال بها هي أيضاً.

٤- انتهاك الحق في الصحة:

حيث يتعرض هذا القطاع لانتهاكات جسيمة تتمثل في الاعتداءات على أفراد الطواقم الطبية، ومعداتهم، والمستشفيات، وعرقلة سيارات الإسعاف، ويعمل الجنود على عرقلة إنقاذ المرضى والجرحى ووصولهم إلى المستشفيات، ويعتبر هذا العدوان جزءاً لا يتجزأ من انتهاك حق الحياة عبر الاستخدام المفرط للقوة ضد المواطنين العزل، الذين يتعرضون للقصف وإطلاق النار في كل الأوقات ويبدون أي أسباب .

بيت حانون.. مأساة وصمود

تقع بيت حانون شمال شرق مدينة غزة، وتبعد عن مدينة جباليا ٣.٥ كم شمالاً، وتبلغ مساحتها الكلية ١٣.٤٣٨ دونماً، ويبلغ عدد



سكانها ٢٠٧٩١.

منذ بداية الانتفاضة ترتكب قوات الاحتلال جرائم شبه يومية بحق السكان وممتلكاتهم، حيث بلغت مساحة الأراضي المجروفة ٢١٨.٦٣٤.١ متراً مربعاً وتم تدمير ٢٧٣ منزلاً تدميراً كلياً وخمس محلات تجارية و٣ منشآت صناعية و١٦ مركبة و١٠ آليات إضافة إلى ١٩٠ شهيداً وعشرات الجرحى.

ونتيجة لممارسات الاحتلال تحولت بيت حانون إلى مدينة منكوبة، ومحرومة، بعد اجتياحها لأكثر من ٢٠ مرة، أخطرها كان اجتياح شهر أيار عام ٢٠٠٣ إذ طال الدمار البنية التحتية الزراعية، وألحق خسائر مادية بكافة القطاعات تجاوزت ٨٦ مليون دولار، إضافة إلى تجريف أكثر من ١٥٠٠ دونم من الأراضي الزراعية.

وتعاني بيت حانون من مشكلات متعددة أبرزها إضافة لممارسات الاحتلال وقمعه المتواصل، استمرار انقطاع التيار الكهربائي ومياه الشرب والهاتف، إضافة إلى نقص حاد في حليب الأطفال، والمواد الغذائية الأساسية، في ظل وضع يشكل فيه الخروج من المنزل مخاطرة كبيرة تهدد الحياة نتيجة للعدو المتربص الذي يطلق النار على كل شيء يتحرك.

ونتيجة لتدمير المزارع والبيارات واقتلاع الأشجار فقد معظم السكان موارد عيشهم، وعانوا من الفقر الشديد، ويعكس رفيق الزعانين وهو مزارع في الـ ٧٥ من عمره من بيت حانون هذا الوضع بقوله أن دخله السنوي انتقل من ١٠ آلاف دينار إلى الصفر، وأصبحت العائلة تعتمد على مساعدات غذائية من إحدى الجمعيات الخيرية.

ويقول عطا سعادة: كل ما ادخرته خلال أربعين عاماً أضعته جرافة إسرائيلية في يوم واحد.

أخيراً إن ما توثقه منظمات حقوق الإنسان وممتلكات السكان المدنيين في بيت حانون المحتلة، هو دليل دامغ على أن ما ترتكبه قوات الاحتلال ليس سوى جرائم حرب منظمة، بالنظر إلى الانتهاكات الجسيمة والمنظمة لقواعد القانون الدولي، ولا سيما اتفاقية جنيف الرابعة.

رفح بوابة الجنوب:

تقع مدينة رفح في أقصى جنوب قطاع غزة، بمساحة ٦٠.٥٠٠ دونماً ويمتد طرفها الجنوبي على طول الشريط الحدودي مع جمهورية مصر العربية، ويبلغ عدد سكانها عام ٢٠٠٣، ١٥٨.٥٩٢، نسمة ويشكل اللاجئون الجزء الأكبر من السكان، إذ يبلغ تعدادهم (٨٩٣.١٠٠) نسمة بما يفوق ٦٣.٦ ٪ من إجمالي عدد السكان .

المناطق والأحياء السكنية للبنى التحتية الملائمة لحياة كريمة، وتعاني من نقص في شبكات المياه والكهرباء والهاتف، وعدم وجود شبكة صالحة للصرف الصحي.

وقد تضاعف عدد شهداء رفح بشكل كبير، ويبلغ عددهم منذ بداية الانتفاضة وحتى تشرين أول ٢٠٠٣، ٢٦١، شهيداً بينهم ٥٦ طفلاً دون الثامنة عشر، ويبلغ عدد الجرحى (٢٤٧٢)، بينهم ١١٠ إعاقات دائمة. ويبلغ عدد المنازل المدمرة ١١٢٨ منزلاً، تأوي ١٤٨٤ عائلة أي ٨٥٠٠ نسمة، كما تضرر ٦٠٠ منزل جزئياً.

وتستند عمليات التدمير الشامل في رفح إلى خطة إسرائيلية مسبقة تستهدف تهجير السكان وإقامة جدار أمني، ومنطقة عازلة، على طول الحدود مع مصر.

ويأتي التدمير الممنهج بثلاثة أبعاد، الأول كإجراء عقابي جماعي ضد السكان رداً على أعمال المقاومة، ومحاولة لكسر صمود سكان رفح، والثاني السعي الدائم لإزالة المخيمات وتوطين اللاجئين في مناطق أخرى في داخل غزة، والثالث توسيع مستوطنات الجنوب، والعمل على إقامة المنطقة العازلة.

كان ذلك غيضاً من فيض الممارسات الصهيونية ضد شعبنا في قطاع غزة، مما تتسع له المساحة المحددة لهذه المقالة. ولا شك أن الممارسات الصهيونية تستدعي إجراءات عاجلة تنادي بها منظمات حقوق الإنسان للعمل الفوري على:-

١- توفير الحماية الدولية الفاعلة للسكان المدنيين وممتلكاتهم.

٢- الكف عن تسييس معاناة الشعب الفلسطيني في واقع تم فيه التضحية بحقوق الإنسان، مما بلغ حد ارتكاب جرائم حرب يومية ضد السكان.

٣- العمل على ملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين وإعداد لوائح اتهام بممارسات القادة السياسيين والعسكريين والضباط الميدانيين والجنود، ورصد انتهاكاتهم وجرائمهم وتوثيقها.

٤- تقديم وسائل الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني لتعزيز صموده وارتباطه بأرضه.

٥- البحث في وسائل لإجبار دولة الاحتلال على التعويض للفلسطينيين.

٦- المناداة الدائمة بفرض عقوبات على

أكدت الجبهة الشعبية في بيان سياسي صادر من فلسطين، إدانة كل من تسول له نفسه بالتفريط بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وأكدت أنه لا يجوز لقائد أو فصيل مهما كان حجمه إنهاء حالة الصراع مع العدو، وأن أي اتفاق يفقد مشروعيته إذا لم يستند إلى تفويض شعبي عبر استفتاء شعبي للمصادقة عليه، ودعت الجبهة للتمسك بحق العودة، كحق مقدس غير قابل للتصرف أو الإنابة، ودعت كل القوى، وبشكل خاص الوزراء، للالتفات إلى ما يجري فوق أرضنا من قتل وتدمير واعتقالات واعتقالات ولقاءات مشبوهة في المنتجعات والمهاهي.

في إطار الرد الطبيعي على جرائم المجرم شارون وأركان حكومته، في رفح وطولكرم ونابلس وكل مدن وقرى ومخيمات فلسطين، قامت كتائب الشهيد أبو علي مصطفى بالعمليات العسكرية التالية:-

- قامت كتائب أبو علي مصطفى والأقصى صبيحة ٢٠٠٣/١١/٥ بتفجير عبوة ناسفة في جيب عسكري بالقرب من معبر صوفا في رفح، حيث أصيب إصابة مباشرة أدت إلى مقتل وإصابة كل من فيه .

- مجموعة طلال حويحي وطارق المصري التابعين لكتائب الشهيد أبو علي مصطفى قامت بتفجير عبوة ناسفة لدى مرور دورية استطلاع من الوحدات الخاصة، وقد أصابت العبوة الجنود الغزاة إصابات مباشرة، وذلك شرق مدينة بيت حانون يوم ٢٠٠٣/١٠/٣١.

- قامت مجموعة الشهيد نور الدين العقاد التابعة للكتائب بتفجير عبوة ناسفة في دبابه صهيونية في منطقة القرارة، وأصابته هدفها إصابة مباشرة، حسب اعتراف راديو العدو وذلك في تمام الساعة الثالثة صباح ٢٠٠٣/١١/١٦.

- قامت الأجهزة الأمنية الفلسطينية باعتقال الرفيق جبر فواز الأخرس على خلفية اتهامه بتنفيذ العملية البطولية ضد حاجز إسرائيلي في طريق الأنفاق والتي قتل فيها جنديان صهيونيان الثلاثة ١٨/٢٠٠٣/١١

وحذرت الجبهة أجهزة السلطة من مغية تسليم الرفيق المناضل إلى سلطات الاحتلال وطالبت بضرورة الإفراج الفوري عن البطل الرفيق الأخرس.

تمويل دولي للمؤسسات التي تبعد المرأة عن واقعها النضالي

رام الله / أجرى الحوارات: عبدالرحيم الريماوي

المرأة شريك أساسي في العملية النضالية منذ بدايات الثورة الفلسطينية، كما لعب صمود المرأة دورا كبيرا في استمرارية النضال، ومع ذلك لم يتم إنصافها، ولم تترجم تضحياتها إلى «مشاركة في القرار السياسي».

(الهدف) أجرت حوارات حول «المرأة الفلسطينية المقاومة»، شاركت فيها كل من جميلة صيدم عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، أمينة الريماوي عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، دلال سلامة عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، مها نصار رئيسة اتحاد لجان المرأة الفلسطينية، وأمل خريشة رئيسة جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتوعية.

س: ثلاث سنوات مرت على الانتفاضة ولكن يبدو كما يرى بعض المتابعين أن هناك دورا ضعيفا للمرأة في الجهد المقاوم والعمل الكفاحي كيف تقيمين دور المرأة في هذا الشأن؟

جميله صيدم: الانتفاضة الحالية تختلف عن الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ وذلك بسبب عدة متغيرات لعبت دورا في تغيير دور المرأة وعطائها أثناء الانتفاضة الحالية، ولكن لا يمكننا القول أن الدور قد ضعف أو أصبح أقل من المراحل الماضية، فجغرافية المواجهة اختلفت عن جغرافية الانتفاضة السابقة.

في الانتفاضة السابقة كان هناك احتكاك مباشر مع قوات العدو في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية الآن أصبح خارج التجمعات السكانية ويتركز في مواقع استراتيجية بعيدة، وأصبح من الصعب على المرأة أن تصل إلى مكان تواجد الاحتلال، رغم ذلك بقيت المرأة هي الأساس في معركة

أمام وسائل الإعلام، ولكن المرأة شاركت في كل اللجان الحيوية وكانت ذراعا للانتفاضة على المستوى الجماهيري والاجتماعي، ومع ذلك هناك حالات نسوية كفاحية، وعدد الفتيات الملتحقات بالعمل المقاوم بازدياد.

ومما يلفت الانتباه أن المرأة الفلسطينية في مخيمات الشتات قامت بأعمال كفاحية، وفي الداخل لم تتوفر لها الظروف لخوض العمل الكفاحي، ولذلك طالبت بسن قوانين جديدة تضمن عدم التمييز ضد المرأة، وعلى القوى الفلسطينية الديمقراطية أن تترجم الشعارات إلى ممارسة عملية على الأرض، بمعنى أن تصح المجال أمام النساء للمشاركة في القرار السياسي على المستوى الوطني العام.

أمل خريشة: تراجع المشاركة الجماهيرية في الانتفاضة سببه غياب الدور المنهجي لكافة الحركات الاجتماعية، فعسكرة الانتفاضة والتوجه للعمل المسلح أدى إلى إضعاف العمل الجماهيري في الانتفاضة الحالية، فنهوض حركة النساء بشكل جماهيري في مواجهة بناء سور الفصل العنصري، وفي مواجهة الاستيطان عبر مظاهرات سلمية ضد الاحتلال هو أمر مطلوب، ويتطلب من قيادة الحركة النسوية ومن القيادة السياسية العمل على بلورة استراتيجية لاستمرار المقاومة ولتحفيز الجمهور الفلسطيني على المشاركة في النضال.

في هذه الانتفاضة كان هناك جهد نسوي متميز في العلاقات العامة وعلى مستوى الاتصال الدولي، فقد قامت المرأة بزيارات لكافة القنصل والسفارات في مناطق السلطة الفلسطينية قبل بدء الحرب على العراق من أجل وضع الضفة وغزة تحت الحماية الدولية، ولمواجهة سياسة «الترانسفير» التي لوتحت بها الحكومة الإسرائيلية، فالنساء يقمن بجهد متواصل للضغط على صانعي القرار السياسي في ألمانيا وبريطانيا وهولندا، كما أن الواقع اليومي الدامي تعاني منه النساء نتيجة الأدوار الاجتماعية المطلوبة منها في ضوء ارتفاع نسبة البطالة، فالجميع يبحث عن عمل لمواجهة الفقر والمجاعة التي تعاني منها الأسر الفلسطينية، ٢٠% من العائلات الفلسطينية يعتمد بشكل أساسي على المساعدات الدولية وهذا مؤشر خطير للواقع الاقتصادي الذي له انعكاسات اجتماعية سلبية على الأسر الفلسطينية.

س: ما هو الدور المفترض للقوى وفضائل العمل الوطني في تقوية وتعزيز دور المرأة الكفاحي أسوة بالرجل؟

جميله صيدم: مازالت القوى والأحزاب السياسية مقصرة تجاه المرأة الفلسطينية، فأصحاب القرار السياسي ما زالوا من الرجال، وهم يقضون أمام طموح ووصول المرأة إلى المناصب الأولى.

نمطية المجتمع الفلسطيني تحجم دور المرأة، والقوى السياسية تلعب دورا في تحجيم دور المرأة، فالرجل ما زال يميز نفسه على حساب المرأة، فالأحزاب تتحدث عن الديمقراطية ولكنها لا تلتزم بتطبيقها، والمرأة توضع في مواقع متقدمة لتكون صورة وليست من منطلق القناعة بدورها، لذا فهي تواصل نضالها لإثبات حضورها ووجودها ومشاركتها، والمرأة قادرة على انتزاع الاعتراف من الرجال بقدراتها، لكن العقلية النمطية والديكورية ما زالت تسيطر على الرجل ويتحمل هذه المسؤولية القوى والأحزاب التي تدعي التقدمية والديمقراطية.

أمينة الريماوي: لا بد من الإشارة إلى أن المجتمع الفلسطيني هو مجتمع شرقي «ذكوري» والأحزاب السياسية هي امتداد لهذا المجتمع، نظريا يجري الحديث عن المساواة وعدم التمييز، كما أن القوانين العصرية لا تميز ما بين الرجل والمرأة في الانتخابات والتسلسل الوظيفي، وعلى رأسها النظام الأساسي للسلطة الفلسطينية، وعند التطبيق على الأرض تبقى مجتمعا ذكوريا، المرأة تأخذ فيه هامشا محدودا، فعالية المؤسسات والمنظمات النسوية التي تهتم بالمرأة أغلقت «الحضانات» رياض الأطفال.

دلال سلامة: الدور الأساسي يقع على الأحزاب السياسية من خلال تبنيها مفهوما واضحا تجاه المرأة، وإشراكها وتعزيز دورها، وكلما أعطت الأحزاب مزيدا من المساحة لمشاركة المرأة ووصولها إلى مراكز صنع القرار دون استخدامها كأصوات وأرقام، عملت على تطوير وضع المرأة وارتقاء دورها السياسي، ومطلوب من الأحزاب أن تعمل على تغيير برامجها وتطوير توجهاتها لتلبي احتياجات المرأة وتعزيز إمكانيتها لتواجدها في الهيئات القيادية لهذه الأحزاب.

مها نصار: المرأة أعطت أمثلة ونماذج عديدة في التصدي والكفاح والمقاومة، فمطلوب الارتقاء بدور المرأة في داخل الأحزاب السياسية لتعكس الصورة الحقيقية للمرأة المناضلة.

أمل خريشة: النساء رهن صوتهن عاليا من أجل تشكيل قيادة وطنية موحدة تدير الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، وتكون مرجعية لأي حكومة فلسطينية تقوم بالمهام المدنية،

فالقيادة الوطنية قادرة على تحديد الشكل النضالي والكفاحي ولعب دور في تعزيز الصمود وتلاحم المجتمع الفلسطيني، قيادة وطنية موحدة تمتلك الاستراتيجية في إدارة الصراع مع العدو الإسرائيلي سواء في الخطاب السياسي أو العمل الدبلوماسي أو العمل المقاوم، فهناك علاقة عضوية بين إصلاح الجبهة الداخلية والاستعداد لبناء مؤسسات الدولة على أرضية صلبة لتحقيق الحلم الفلسطيني، وهناك ضرورة لإعادة حضور منظمة التحرير على الساحة الفلسطينية الداخلية والعربية والدولية، والحركة النسوية ترى بأن هناك ضرورة لإجراء الانتخابات، بغض النظر عن الواقع السياسي والعدواني الإسرائيلي، فهذه الانتخابات آلية ضغط على إسرائيل ووضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته ويهدف اطلاعه على من الذي يعيق العملية الديمقراطية في الشرق الأوسط، فأستورة إسرائيل الديمقراطية يجب أن يتم هزها لأنها صورة مصطنعة.

س: هناك بعض التجارب المحدودة لعمليات استشهادية نفذتها بعض الفتيات الفلسطينيات والعربيات، ولم تتكرر بصورة واسعة ويبدو أن فضائل العمل الإسلامي لا تحبذ هذا التوجه، كيف تقرئين ذلك؟

جميله صيدم: النضال هو نضال الشعب الفلسطيني بكافة شرائحه، وعلى الحركة الإسلامية أن تستوعب مساهمة المرأة بشكل أوسع، ولكن ما زال ينظر للمرأة في داخل الأطر الإسلامية على أنها لا تصلح للمواجهة، علما أن هناك استشهاديات إسلاميات شاركن خلال الانتفاضة، هناك أعداد كبيرة من النساء والفتيات يتقدمن بطلب المشاركة في أعمال المقاومة ولكن القيادات السياسية تقف عائقا وحائلا دون مشاركة المرأة.

أمينة الريماوي: هناك فتوى إسلامية تحرم مشاركة المرأة في العمليات الاستشهادية وفي الماضي كانت المقاومة الفلسطينية لديها معسكرات تدريبية على حمل السلاح، وفي حينه شاركت المرأة في عملية التدريب على حمل السلاح والمشاركة في أعمال المقاومة.

دلال سلامة: العمليات الاستشهادية تمثل موضوع جدل كبير في المجتمع الفلسطيني سواء كان ينفذها رجل أم امرأة، فمتنزهها جيل شاب متحمس لا يرى إلا التضحية بروحه سيلا للتحرير وللخلاص من الاحتلال، وهناك جدل حول الحدود الجغرافية لمثل هذا الشكل النضالي.

مها نصار: العمل الكفاحي للمرأة أخذ شكلا

فرديا ولم يرتق إلى عمل منظم داخل إطار كفاحي، ففضائل العمل الإسلامي اجتهدت في العمليات الاستشهادية التي تنفذها المرأة وفق الرؤية الإسلامية، فالنهج الإسلامي حرم انخراط المرأة في العمل الاستشهادي، مرتكزا إلى قناعات مبدئية في الحكم، ولكن عند النظر إلى هذا الحكم بطريقة محايدة ترى أن هناك تمييزا ضد المرأة.

أمل خريشة: هناك مطلب واسع من قطاعات جماهيرية للاتجاهات الإسلامية بعدم تنفيذ عمليات استشهادية داخل الخط الأخضر، والاستمرار في النضال والمقاومة ضد الجنود والمستوطنين داخل الضفة وغزة، خاصة أن إسرائيل استفادت من الخطاب الإعلامي الأميركي الجديد، وريطت العمليات الفدائية الفلسطينية بالإرهاب الدولي، في محاولة منها لتصوير حركة التحرر الوطني الفلسطينية، على أنها حركة إرهابية، والعالم يعي جيدا أن القضية الفلسطينية ما زالت تشكل قضية تحرر وطني ضد الاحتلال الإسرائيلي، فالمرأة تشارك في جميع أشكال النضال الوطني، ولكن هذا يعتمد بالأساس على تكتيكات واستراتيجية التنظيم السياسي، كيف يريد أن يحقق أهدافه، وإسرائيل تتحمل المسؤولية في إيصال عدد من الفلسطينيين إلى مرحلة لا تفرق ما بين الحياة والموت.

س: الكثير من الأطر النسوية توجهت نحو العمل الأهلي والاجتماعي الداخلي، وغيببت الموضوع الكفاحي والمقاوم، هل هذا لأسباب خاصة بالتمويل أم لعجز تلك الأطر والبنى النسوية عن تفعيل دور المرأة الكفاحي بشكل عام، وماذا عن الأطر النسوية التابعة للفضائل الوطنية؟

جميله صيدم: المرأة تمتلك الرغبة للمشاركة الأوسع في العمل المقاوم، ولكن تواجه برفض الرجل المستمر باعتباره صاحب القرار وهذا دفع المرأة إلى العودة للعمل الاجتماعي لأنها تعتقد أن هذا العمل هو وسيلة نضال تدعم النضال المقاوم.

أمينة الريماوي: صحيح إن التمويل كان له دور في توجه المرأة نحو العمل الأهلي والاجتماعي الداخلي، وهذا جعل دور المرأة أسيرا للدول الممولة في قضية إشاعة الديمقراطية.

وأدى تحويل المنظمات الأهلية إلى مؤسسات مكتبية خدمتية، إلى ابتعادها عن قاعدة جماهيرية عريضة واسعة للمرأة الفلسطينية، هذا أدى إلى تدني استعداد المرأة للمقاومة

والنضال السياسي.

دلال سلامة: المشاركة في العمل الوطني والنضالي ذات أشكال متعددة، والمرأة بدأت تهتم بمؤسسات المجتمع المدني والقضايا الخدمية، وهذه المؤسسات تشكل بناء على احتياجات المجتمع، وتعمل على تأطير عمل المرأة بشكل ممنهج أكثر.

فالمؤسسات هامة ويجب النظر إليها بعين إيجابية، فالمؤسسات تحتاج إلى تمويل، ولكن ليس أي تمويل يمكن قبوله، خاصة إذا كانت هناك اشتراطات للتمويل، فالأولوية هي إعادة تشكيل وتوفير المأوى للنساء اللاتي هدمت منازلهن من جراء سياسة الإرهاب الإسرائيلي، فالتوعية والتثوير الفكري من شأنه أن يمكن فئات المجتمع المختلفة من إدراك حقيقة الواقع الذي يعيشون فيه وإدراك طبيعة معاناتهم، فالفلسطينيون والفلسطينيات قادرون على تحديد اولوياتهم خاصة أن الوضع الفلسطيني بالغ التعقيد والشعب يتعرض لمخاطر كبيرة تتمثل بشطبه من خارطة المنطقة.

مها نصار: الجهات الداعمة لم تدعم إلا تلك المشاريع التي تحيد دور المرأة في العملية الكفاحية، ولكن التجربة أثبتت أن المرحلة مرحلة بناء ومواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي، بناء الصمود والأسس المتينة للمقاومة للاستمرار بها، وليست مقتصرة على بناء مؤسسات، فالانتفاضة أكدت أن المواجهة والصراع مع الاحتلال ما زال قائماً، لأن الأرض بقيت تحت الاحتلال، ولهذا استدعى الأطر النسوية إلى صياغة برامج مرنة تتلاءم مع المرحلة، فالمقاومة تزعم أصحاب سياسة أوسلو، وتم استبدال العلاقة بالجماهير والقاعدة النسوية بالعلاقة عبر الاتصالات التكنولوجية كأساس للعمل.

أمل خريشة: هناك محاولة تهميش وتضييق لمشاركة النساء الواسعة في النضال الوطني كما أن ضعف الأحزاب السياسية أضعف المشاركة الوطنية في النضال ضد الاحتلال، فاقترص العمل السياسي على الفريق المفاوض مما جعل المنظمات السياسية تبتعد من الانخراط والمشاركة في صناعة القرار، بعض الفلسطينيين وقعوا في وهم مقولة أن الدولة الفلسطينية على الأبواب، وتم تغيير مفهوم الاحتلال عن الأجندة اليومية، كهم مباشر وأولوية أساسية في الحركة المجتمعية، فالحركة النسائية ناقشت هذه القضايا في عام ١٩٩٤ و ١٩٩٥ عندما تم بلورة استراتيجيات للحركة النسوية، أشارت فيها إلى ضرورة الانتباه لمواصلة النضال والكفاح ضد الاحتلال، التمويل لعب دوراً آخر في تهميش دور المرأة ولم يتم التركيز على تقديم الخدمات

للنساء، ظنا من أوساط عديدة في الحركة النسوية بأن التمويل أصبح هو مهمة من مهمات السلطة الفلسطينية، فتم إغلاق رياض الأطفال وحلت محل تقديم الخدمات قضايا التوعية والتعبئة والتأثير والديمقراطية والتشريعات ولم تستطع السلطة الفلسطينية تقديم الخدمات للنساء، في الوقت الذي قام فيه الممولون الأوروبيون بتخفيض التمويل من موازنات المنظمات غير الحكومية لصالح السلطة الفلسطينية، وقامت بعض الجهات الممولة بالتلاعب في قضية خلق مزاج غير سلس في العلاقة ما بين المنظمات غير الحكومية والسلطة الفلسطينية، وكان هناك صراعا يدور ما بين السلطة الفلسطينية والمنظمات غير الحكومية على مصادر التمويل، فالقيادة السياسية كان لها أثر كبير في عدم مشاركة النساء في العمل الكفاحي.

س: الأسيرات الفلسطينيات يشكلن نمودجاً طلائعياً، قياساً مع الحالة العامة للعمل النسوي، ما حدود الاهتمام بهذه الحالة النسوية الكفاحية، كيف يمكن قراءة وتعميم تجربتهن على الحالة النسوية الفلسطينية العامة؟

جميله صيدم: النساء في الحركة الأسيرة الفلسطينية سجلن أروع بطولات الصمود والتمسك بقوة بالأهداف الوطنية رغم تواجدهن داخل السجون الإسرائيلية، فالنزاهة لم تمنعهن من التعبير عن إرادة الصمود والتحدى للاحتلال، فالمرأة الأسيرة تؤكد دائماً على أنها لا تقل عن الرجل في هذا الشأن، وهي تثبت يومياً بأن دورها لا يختلف عن دور الرجل في العمل المقاوم والمناضل، وأصبحت المرأة تتحمل عذابات



السجون الإسرائيلية، فالأجيال ستأخذ العبرة والمثل من الأسيرات الفلسطينيات، اللواتي يسطرن أروع آيات الصمود، رغم استخدام جميع وسائل الإرهاب ضدهن. وحرمانهن من ضرورات الحياة، لذلك فهن يمثلن الصورة المشرقة للمرأة الفلسطينية.

أمه الريماوي: الاهتمام بالحركة الأسيرة فيه جزء من التواني، وطنياً وسياسياً، ومن وضع قضية الأسرى على جدول أولويات عمله هم أهالي الأسرى والأسيرات أنفسهم، وهناك تدن في نمط العلاقة ما بين مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الرسمية بخصوص قضية الأسيرات الفلسطينيات، وفي السابق كان هناك شكل نضالي مميز ونموذجي للأسيرات في داخل السجون الإسرائيلية، ولكن اليوم هناك بعض الأسيرات يعانين من أسيرات أخريات في داخل السجن.

دلال سلامة: قضية الأسرى يجب مواصلة متابعتها خاصة إذا كان عدد الأسيرات في السجون الإسرائيلية حوالي ٨٠ أسيرة، ومنهن فتيات قاصرات، فالاهتمام بالأسرى والأسيرات على المستوى الرسمي والشعبي يعتبر جزءاً من العمل النضالي والوطني، فعلى المؤسسات أن تدعم الأسرى والأسيرات في مطالبهم بالحرية والاستقلال، والمطالبة بالإفراج عنهم هو جزء هام من العمل الوطني، ويجب تلبية احتياجات أهالي اسر الأسيرات، فالأسيرات وأهاليهن بحاجة إلى تواصل معهن أكثر مما هو قائم حالياً، وعدد الأسيرات يعطي انطباعاً بأن هناك حاجة لتدعيم موقف أي امرأة بسبب دخولها ميدان العمل الكفاحي، وعلى الفلسطينيين أن يتحملوا المسؤولية تجاه الأسيرات من خلال رعاية الأهالي بالإضافة إلى التواصل مع الأسيرات، فعدم التواصل معهن ينعكس سلباً على نفسية الأهالي، كما يجب العمل على المستوى الدولي وإثارة موضوع الأسرى والأسيرات لإطلاق سراحهم خاصة الأطفال والقاصرات.

مها نصار: الأسيرات الفلسطينيات من الجيل الشاب الذي يتحمل مسؤولية عملية التغيير في المستقبل، لذا ينبغي الاعتناء بهموم الأسيرات وتدوين تجربتهن بالأسر، السجون الإسرائيلية، بهدف استخلاص العبر. وكيفية تحويل الفتاة من إنسان عادي إلى فتاة تمارس العمل الكفاحي على أن تقوم الأطر النسوية بتوفير الحضان الدافئة للنساء المناضلات.

أمل خريشة: السجينات الفلسطينيات كالسجناء الفلسطينيين يعانين من انتهاكات إسرائيلية صارخة لحقوقهن، بدءاً من زيارة الأهالي والمحامين، بالإضافة للاعتقالات الإدارية بدون محاكمة، وعدم تقديم حاجات

السجينات الأساسية، فالفاشية الإسرائيلية اسقطت بشكل مكثف على السجينات والمساجين، وتعمل المؤسسات الاجتماعية على تنظيم زيارة المحامين للسجينات والمساجين للإطلاع على أوضاعهم الصحية والمعيشية، ويتم إرسال التقارير عن أوضاع الأسرى والأسيرات لوسائل الإعلام وللمنظمات الحقوقية العالمية، بهدف إثارة قضيتهم ووضع ملف الأسرى والأسيرات كقضية أساسية في أي مفاوضات أو أي حوارات سياسية مع الجانب الإسرائيلي.

س: كانت هناك مجموعات فدائية دخلت الحدود وقامت بعمليات مختلفة على مدار سنوات العمل الكفاحي الفلسطيني، برأيك لماذا لم تكن هناك حالات نسوية واضحة في هذه التجربة ولماذا اقتصر النموذج على تجربة دلال المغربي، أو بمشاركة مجموعات فدائية فيها أيضاً رجال؟

جميله صيدم: الظرف السياسي العام والدولي في المرحلة الراهنة أصبح عاملاً يعيق النساء عن خوض العمل الكفاحي المباشر، واليوم يتم التعامل مع الموضوع الكفاحي على خلفية الالتزام بمسيرة السلام، ففي السابق كانت حركة المقاومة تواجه قوى الاحتلال بشكل مباشر، كما كانت مشاركة النساء أوسع وأكبر، اليوم عملية السلام فرضت على المرأة عدم التفكير بعمق في العمل الكفاحي المقاوم.

أمه الريماوي: هناك تدن في الاهتمام الوطني العام بتنفيذ عمليات فدائية ومقاومة عبر الحدود عند المرأة والرجل، فالاتفاقيات الثنائية التي وقعت ما بين الدول العربية والحكومة الإسرائيلية أغلقت الحدود أمام المقاومة الفلسطينية.

دلال سلامة: الثقافة السائدة تتيح هامش عمل أكثر للرجل منه للمرأة، فحرية التحرك والتعرف على الواقع المحيط، قضية المعرفة وإدراك الواقع ضرورة جدا، الرجل تفتح له الأبواب للتعرف على الواقع ولديه فرصة للحصول على المعلومات بحكم حرية تنقله، هذا غير متاح للمرأة، بحكم تحركاتها المضبوطة من قبل رب الأسرة، فهامش الحركة المتوفرة للمرأة هو أقل مما هو متوفر للرجل.

مها نصار: العامل الاجتماعي لعب دوراً في اقتصار التجارب على عدد محدود من النساء، فإذا توفرت للمرأة إمكانية الانخراط في المقاومة، فهي قادرة على تنفيذ هذا العمل بدقة متناهية، ولكن المعوقات الاجتماعية تقف أمام قيام المرأة بهذا العمل الكفاحي، فالمجتمع لا يعترف بدور المرأة إلا بعد أن تصبح نموذجا، وهناك من

يتعامل مع النساء الأسيرات وكأنهن لم يقدمن شيئا للوطن، فالضغوط تمارس على المرأة بعد اعتقالها أكثر مما كان قبل الاعتقال، رغم تسجيلها لحالات بطولية، فالعامل الاجتماعي يعرقل مشاركة المرأة في العمل المقاوم.

أمل خريشة: النساء شاركن في كافة أشكال النضال، ومنه المسلح، أثناء معارك بيروت، وهناك محدودية في مشاركة النساء بالكفاح المسلح والعمليات العسكرية لأسباب عديدة أبرزها الأعباء الاجتماعية والمفهوم الذكوري داخل الحركة السياسية الذي يقول أن دور المرأة هو دور إسنادي وليس دوراً طبيعياً مبادراً، وهذا يعكس مشكلة في مفهوم المساواة، ولكن النساء يخرجن ويواجهن المجنزرات والجرفافات الإسرائيلية، فالمرأة تمتلك القدرة فيما لو كان هناك توجه حقيقي مدروس وواضح المعالم للمقاومة المسلحة، فالمشكلة تكمن في العقلية الذكورية وفي مفهوم العمل المسلح نفسه في ظل عدم وجود ظهير من الدول المجاورة لفلسطين.

س: ما هي رؤيتك المستقبلية لدور وعمل المرأة في العمل الكفاحي في ضوء استمرار الاحتلال الإسرائيلي ودخول الانتفاضة عامها الرابع؟

جميله صيدم: إسرائيل تستمر في سياستها التعسفية من خلال مواصلة البناء في السور العازل الذي ابتلع واقتطع مساحات كبيرة من المدن والقرى الفلسطينية كما أنه ابتلع جزءاً كبيراً من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، وإسرائيل تواصل ملاحقة الرموز والقيادات الفلسطينية وتواصل سياستها الإرهابية ضد الأسرى والمعتقلين في داخل السجون الإسرائيلية، هذا سيدفع الشعب الفلسطيني إلى المزيد من الصمود ومواصلة الكفاح والمرأة جزء لا يتجزأ من عملية النضال الفلسطيني المستمر، وفي هذا العام الرابع للانتفاضة ستشهد المنطقة أعمال تصعيد أكثر، لأن الشعب الفلسطيني صبر وأعطى الفرص للسياسيين في العالم بأن يعملوا على حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهناك اعتراف دولي بأن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية واستقلاله، ولكن التعتن الإسرائيلي المدعوم أميركياً سيدفع المرأة الفلسطينية والشرائح المجتمعية إلى الانخراط الأوسع والأكبر في خندق المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، فإذا بقيت إسرائيل متصلبة في مواقفها فإن هذا سيدفع الشعب الفلسطيني إلى تصعيد النضال والكفاح وسيكون للمرأة دور بارز في العمل المقاوم والكفاحي.

أمل خريشة: دور العمل الكفاحي للمرأة يكون بالأساس عبر الحركة النسوية ومنظمات المجتمع المدني، تنظيم التظاهرات الاحتجاجية واستمرار العمل المقاوم بأشكال مختلفة ضد الاحتلال، فعلى النساء أن ينتظمن في حركة سياسية مطلوب منها أن تعمل على حل أزمتها الداخلية واستقطاب النساء والرجال ليكونوا أعضاء فيها من أجل تقوية دورها وإعادة بناء الثقة ما بين الحركة السياسية والمرأة الفلسطينية، وهذا هو جوهر الإصلاح الداخلي، فالتحديات التي تواجه الفلسطينيين كبيرة وهذه التحديات تستدعي النهوض بالطاقات النسوية والذكورية لمواجهة الهجمة الإسرائيلية ولوضع النساء والرجال الفلسطينيين أمام مسؤولياتهم.

الإسرائيلي يتصاعد، فالرد الطبيعي يتمثل في تصعيد أعمال المقاومة الفلسطينية من المرأة والرجل، خاصة أن المرأة تعاني أكثر بسبب اعتقال زوجها وابنها وشقيقها، أو استشهادهم وتعطلهم عن العمل بسبب الحصار الخانق ومصادرة الأراضي التي تدر دخلاً مالياً للأسرة، فالضغط العالي على المرأة الفلسطينية سيؤدي إلى انفجارها وإلى مشاركتها بجدية في المقاومة.

دلال سلامة: إذا أردنا أن نتحدث عن الإسراع بعملية تحرير الأرض وإنهاء الاحتلال، فعلى أن نهيء كافة القوى والمؤسسات على أن يتم تطويرها باتجاه إدراك أهمية المشاركة والعمل على تلبية احتياجات الشرائح المختلفة وإعطاء المساحة للمشاركة، فمشاركة المرأة والعمل معها يجب أن يكون في إطار توعية وتثوير لفكرها، هذه قضايا تخرج المرأة من بوتقة التلقي، فعلى المرأة أن تكون عنصرًا فاعلاً في المجتمع بأشكال مختلفة، وهذا يدفع المرأة لوضع جهودها في بوتقة العمل الكفاحي من أجل إنهاء الاحتلال، فالاحتلال له تأثيرات سلبية على حياة المرأة الفلسطينية، وعلى المرأة أن تلتحق بالأحزاب السياسية، كما أن على الأحزاب أن تولي أهمية للمرأة وتعزز مشاركتها الحقيقية في صناعة القرار السياسي.

مها نصار: على المرأة الفلسطينية أن تمارس كافة أشكال النضال الوطني وعلى القوى والأحزاب السياسية أن تشجعها وتبني الهياكل الضرورية لضمان تنظيم العمل المقاوم، فمستقبل العمل الكفاحي النسوي مرتبط إلى حد كبير بالعمل الوطني العام، وعلى الأحزاب السياسية أن تستثمر رذات الفعل النسوية الفاضية والمتحدية للاحتلال الإسرائيلي، فاستثمار رذات الفعل يجب أن يكون بعمل منظم وليس فردياً وهذا ما يعطي صورة نموذجية للمرأة ويؤكد على طبيعة دورها المستقبلي.

أمل خريشة: دور العمل الكفاحي للمرأة يكون بالأساس عبر الحركة النسوية ومنظمات المجتمع المدني، تنظيم التظاهرات الاحتجاجية واستمرار العمل المقاوم بأشكال مختلفة ضد الاحتلال، فعلى النساء أن ينتظمن في حركة سياسية مطلوب منها أن تعمل على حل أزمتها الداخلية واستقطاب النساء والرجال ليكونوا أعضاء فيها من أجل تقوية دورها وإعادة بناء الثقة ما بين الحركة السياسية والمرأة الفلسطينية، وهذا هو جوهر الإصلاح الداخلي، فالتحديات التي تواجه الفلسطينيين كبيرة وهذه التحديات تستدعي النهوض بالطاقات النسوية والذكورية لمواجهة الهجمة الإسرائيلية ولوضع النساء والرجال الفلسطينيين أمام مسؤولياتهم.



بوصفها ملجأ ومتراساً، وكانت رفيقة دربه زوجته قد ساعدته في تجاوز المحنة عندما أصابه المرض قبل ثلاثة عشر عاماً، وكانت إلى جانبه تمده بطاقة المعنويات، كما ولديه طارق وغسان، كان حضورهم إلى جانبه يخفف عنه الألم والمرض، وكذلك أصدقائه ومحبيه جميعاً عملوا لراحته، وتهيئة الأجواء المعافاة والمناسبة له، فواجبنا أن نتقدم بالتحية الكبيرة لرفيقة دربه زوجته المناضلة الدكتورة هناء العلمي.

تتذكر صابر الذي أنجبت سيلة الحارثية، عندما سافر قبل سنوات إلى جنين ورام الله وتجوّل في أرجاء الوطن، ليعود منضياً، كان ينتظر العودة ويكتب عنها ولها، وعودة اللاجئين

الأستاذ سعيد البرغوثي



أيتها الأخوات أيها الأخوة
تمر قضيتنا الوطنية بوضع صعب وخطير، فالعدو الصهيوني يمعن بالقتل والتدمير، بدعم وإسناد يصل على حد المشاركة الفعلية من قبل الإدارة الأمريكية اليمينية المتصهنة، وشعبنا العظيم يتصدى بإرادة وعزيمة لا تلبين، فالمقاومة مستمرة والانتفاضة مستمرة، وقد

طريقة العيش المرفهة، بل كانت ذاته تعمل من أجل الجماعة التي تعيش مأساتها، فكان إلى جانب شعبه مقاوماً للاحتلال الصهيوني وفضاعة المجازر التي ترتكبها العصابات الإرهابية الصهيونية، كان يمتقت صلف القوة الإسرائيلية المتفطرسة المدعومة من الغرب الاستعماري الأمريكي، ويعد مع رفاقه طريقاً للمواجهة، طريق المقاومة، هذه القوة الإسرائيلية التي قامت، منذ ما قبل عام ١٩٤٨م، وما زالت تقوم بحرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني، قاومها الشهيد صابر إلى جانب شعبه واختار طريق المواجهة والمقاومة كأسلوب أملاه واقع النكبة وهزيمة ١٩٦٧ القاسية على الشعب الفلسطيني، وعمل صابر من أجل تغيير هذا الواقع المؤلم وتحويله إلى واقع نهضوي ثوري، وذلك من خلال استنهاض الوعي الجماهيري والفكري والسياسي والثقافي، من خلال الكتابة والتعمق في تحليل الرؤية السياسية، وكان يصوغ الموقف السياسي في مجلة الهدف عندما كان رئيساً لتحريرها مثلما يعبر عن مكنونات الذات، يعبر بطريقته عن الرؤية السليمة للجبهة في مشهد الصراع، فكان الناطق الإعلامي باسم الجبهة الشعبية ومكتبها السياسي، وليس من المبالغة القول أن الشهيد صابر عندما كان رئيس تحرير مجلة الهدف استطاع أن يجعل هذا المنبر الإعلامي والثقافي منبراً يشع نوراً وضياءاً للحوار الفكري والسياسي، فالتف حوله الكثير من الكتاب والمفكرين العرب، وكانت فترة نهوض ثقافي شهدته مجلة الهدف في تلك المرحلة.. وكانت أجواء النهوض أكثر فعالية مترافقة مع بداية انتفاضة الحجارة الأولى عام ١٩٨٧، كانت مهمته تقوم على كشف الحقيقة الفلسطينية، وهو ممن أجاد معرفة الطريق لهذا الاكتشاف، وبفضله النضالي وجهوده الفكرية والإعلامية خرج صدى الصوت الفلسطيني في أمكنة كثيرة عربية وعالمية، وذلك عبر صفحات مجلة الهدف التي كان نجمها الرفيق صابر محي الدين.

إن حياة الشهيد صابر محي الدين كانت ذات قيمة مثلى تختصر الزمن، ليس من أجل تحقيق ذاته، بل من أجل الجماعة، فقد منحنا في نصوصه الحياقة، وبرحيله المبكر والمفاجيء فإننا نتألم، نتجاوز صدمة هذا الرحيل قبل أربعين يوماً حين توقف قلب صابر محي الدين. كل شيء يدفع إلى اليقين أن الشهيد الرفيق

حفل تأبيني

لشهاد المناضل صابر محي الدين في دمشق

بدعوة من اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين «فرع سورية»، أقيم حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد الرفيق المناضل والكتّاب السياسي صابر محي الدين مساء يوم الأحد الموافق ٢٠٠٣/١١/٢ في قاعة المركز الثقافي العربي في المزة بمدينة دمشق.

وقد حضر حفل التأبين عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية والسورية، وأصدقاء الشهيد من الكتاب والمثقفين.

ويعد الوقوف دقيقة صمت على روح الشهيد وكافة الشهداء، أقيمت في الحفل عدة كلمات بهذه المناسبة، قدم لها عريف الحفل الأستاذ سعيد البرغوثي بكلمات وجدانية مؤثرة.. وفيما يلي نص الكلمات:-

كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ألقاها الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة:

الأخوة والرفاق.. أيها الحضور الكريم:
نقف اليوم وقفة اعتزاز ووفاء في حفل تأبين رفيقنا الكاتب الإنسان، والمناضل، الشهيد الإعلامي البارز، صابر محي الدين، الذي قدم نموذجاً صادقاً في الحياة الثقافية والسياسية، وترك أثراً بالغة في المشهد الإعلامي والسياسي والنضالي الفلسطيني والعربي.

إن المناضل الشهيد صابر محي الدين جمع صفات متعددة ونادرة في شخصيته المتمثلة بالطيبة والمحبة والشفافية، شخصية نقية طاهرة ذات ملامح هادئة، نفض اليوم نستعيد ذكراه، ونجدد العهد للشهداء على الماضي قدماً في مسيرة الكفاح.. مسيرة المقاومة والانتفاضة.

نتذكره وتأخذنا معاني الرحيل.. معنى الوطن الذي ناضل من أجله الشهيد صابر، ومعنى أن تعيش منضياً، ومعنى أن تكون فلسطينياً وقومياً عربياً وأمياً.

أن تكون مناضلاً محارباً من أجل فلسطين، وكل هذه المعاني كانت برفقة صابر في سيرته ومسيرته النضالية... رحل ومعها صفات المناضل الثوري، وأكد في كتاباته عمق ومعنى الهوية الفلسطينية العربية، أظهر دوماً أن

والإنساني الخالد، بإرثه وتراثه الوطني الذي تركه لفلسطين ولشعبه، حتى نكاد نسألك يا صابر نحن رفاقك: لماذا غادرتنا مبكراً؟ لماذا يرحل أصحاب الأثر الكبير بسرعة، وهكذا كان إحساسنا عندما رحل الرفيق الشهداء الأديب غسان كنفاني والقائد الشهيد وديع حداد وباسل الكبيسي وجيفارا غزّة والقائد الشهيد أبو علي مصطفى وأبو أمل وشهادة غنام والشهيد القائد ربحي حداد وآخرين كثر قضوا في مسيرة الثورة، وهنا قد لا يتسع الوقت لأحدث عن صاحب الإرث النضالي بشمولية، وهذه مهمة متروكة للدراسات، وكتابة السيرة التي كتبها ويكتبها شعبنا الفلسطيني بالدم والتضحيات، وسأختصر الحديث بالتذكير في بعض المحطات من سيرته النضالية، وأنا كما عرفته وعاشت تجربته الكفاحية، فإنه قائد ومفكر سياسي تعجز عن وصفه الكلمات، ولكن باستطاعتنا أن نصفه كما هي الحقيقة بأفعال... إننا أمام إنسان قبل أن يرحل قدم جهوداً عظيمة وكبيرة للجبهة الشعبية والثورة الفلسطينية. أعطى الكثير في سبيل قضيتنا الوطنية، كان يعمل على طريقة جلد الذات، لا يرتاح حتى وهو يعاني مرض القلب، يتابع ويتواصل مع المهام الملقة على عاتقه، إننا أمام مناضل ذو عقل متوقد، يعمل على تأمل العالم من حوله والمتغيرات العاصفة بالمنطقة، يكتب ويحلل ويرى بأفق استراتيجي، يتأمل العالم والظروف الصعبة المحيطة بقضيتنا الفلسطينية، مثلما تأملته المأساة الفلسطينية واختارته ليكون مناضلاً والناطق باسمها وممثلاً لصوتها، واختاره القدر كاتباً مفكراً مدافعاً عن الحقيقة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني.

كان مناضلاً في صفوف حركة القوميين العرب وناشطاً مفعماً بالحياة عندما كان طالباً جامعياً مع بداية انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة، ومناضلاً صلياً في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويحمل على عاتقه مسؤوليات كبيرة، لم يختر



الرفيق أبو أحمد فؤاد

للفلسطيني وطن اغتصبه الغزاة، كما أظهر أن للفلسطيني هوية وجذور تاريخية عربية، فكتب عن الانتفاضة والمقاومة والقضية، وقبل رحيله بأسبوع انتهى من كتابة دراسة بعنوان «الانتفاضة على أبواب عامها الرابع».

الآن صابر محيي الدين في حضرة الذاكرة، يسكنني هذا الإنسان المتألق في قضاء مشرق، فهو لن يفارقنا، بل إنه حاضر بفضله النضالي

العدو يعيش مأزقاً حقيقياً وعميقاً على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والأخلاقية والأمنية، لن يكون لهؤلاء الغزاة أمناً أو استقراراً في وطننا مهما بلغت التضحيات...

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد رفضت السياسات المتبعة من قبل القيادة المنتفذة لمنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، لأن هذه السياسات جرت الولايات والمصائب على الشعب الفلسطيني، ولم تحقق أي إنجازات أو مكاسب لهذا الشعب المناضل، بل فتحت شهية العدو لفرص المزيد من التنازلات والاملاءات عليها، فمن مدريد إلى اتفاقات أوسلو، ثم خارطة الطريق ثم اتفاق سويسرا المزمع عقده على قاعدة تقديم المزيد من التنازلات وفي مقدمتها التنازل عن حق العودة.

لذا إن الجبهة الشعبية وقوى المقاومة الفلسطينية ترفض رفضاً قاطعاً هذه الاتفاقيات وكل ما يترتب عليها، وتصر على استمرار الانتفاضة والمقاومة حتى تحقيق الدولة الفلسطينية للشعب الفلسطيني وعاصمتها القدس.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو جميع القوى الفلسطينية إلى تعزيز الوحدة عن طريق تشكيل قيادة وطنية موحدة تضم جميع الفصائل والقوى والفعاليات الفلسطينية، ببرنامج سياسي يأخذ بعين الاعتبار القواسم المشتركة على قاعدة استمرار الانتفاضة والمقاومة، وترتيب أوضاع البيت الفلسطيني على أسس سليمة. والإعداد للانتخابات الديمقراطية داخل الوطن وخارجه على طريق إعادة بناء مؤسسات م. ت. ف. على أسس ديمقراطية.

من هنا يأتي موقف الجبهة بعدم المشاركة في الحكومة، وكذلك عدم الموافقة على الهدنة.

أيتها الأخوات أيها الأخوة

إن الأمة العربية قد أصبحت تعاني من الاحتلال لبلدين عربيين. بعد أن كانت تعاني من احتلال بلد واحد، فلسطين.. فالعراق اليوم جرى احتلاله ظلماً وعدواناً، فالهدف معروف تحقيق مكاسب اقتصادية بالسيطرة على النفط، وحماية الكيان الصهيوني، وتهديد كل من يعارض السياسة العدوانية الأمريكية، ولكن الشعب العراقي العظيم جعل هذا العدو يدفع ثمن عدوانه وجرائمه، ولن يسمح للولايات المتحدة وحلفائها من تحقيق أي هدف من أهدافها، وسيقرض عليهم الرحيل من خلال تصعيد مقاومته بأشكالها المختلفة وفي مقدمتها الكفاح المسلح.

كلمة الدكتور جورج حبش ألقها الرفيقة ليلى خالد:



الرفيقة ليلى خالد

الأخت العزيزة د. هناء الأعراب طارق وغسان آل محي الدين والعلمي الكرام الأخوة والأخوات، الرفيقات والرفاق الأعزاء أيها الحضور الكريم:

تلقي اليوم إحياء لذكرى مرور أربعين يوماً على رحيل القائد المناضل صابر محي الدين، بين الاندهاش والصدمة، أجد نفسي منهولاً بالسؤال، هل فارقنا الرفيق الصديق أبو طارق فعلاً؟ هل غابت عنا تأملاته وأفكاره وكلماته ومواقفه؟ أكاد لا أصدق ما حدث، قد يكن صديقك أو رفيقك مصاباً بمرض ما قد يؤدي إلى وفاته في لحظة متوقعة، لكن ذلك لا يحول دون الألم الذي يعتصر قلبك عندما يبلغك النبأ بالغياب الأكيد.

يعتصر الألم قلبي لأن صداقة ومحبة ريبنتي بصابر، ما يزيد عن ثلاثة عقود، فلم يكن صابر بالنسبة لي مجرد رفيق، بل هو الابن والصديق، فقد خسرت بغيابه كل ذلك. وخسرت القضية والجبهة بفقدانه مناضلاً فذاً، مفكراً قوياً يدافع عنهما بكل ما يملك من قوة فكر ونفاذ بصيرة، صابر أنت خسارة للقضية أولاً،

وخسارة للجبهة ثانياً، وخسارة لكل من عرفك في ساحات النضال ومعتراكات السياسة.

رغم أن الموت نهاية طبيعية وحتمية لكل كائن حي، فمن المنطقي أن لا نستغرب غياب بعض الأحياء والأصدقاء، الأهل والأبناء، وأن لا نؤخذ على حين غرة إذا غابوا عنا. ولكن ماذا نقول لمن غيبتهم الموت، وهم في ذروة عطائهم الثوري والنضالي والفكري، ولكن لم يعطوا الفرصة، ولم يمهلوا، فلم يعطوا الحياة كل ما عندهم، ولم يأخذوا منها كل ما يستحقون. كانوا يحلمون بالغد، وينتظرون الغد الأفضل لكي يعطوا، ويفعلوا أقصى ما يستطيعون، ويقدموا أعلى ما يملكون رحيق روحهم وعقلهم الثقافي والفكري، فأنت يا صابر واحد من هؤلاء، لا بل أنت كنت دائماً مع الطليعة في المقدمة.

أنت صابر الإنسان، وأنت صابر القائد، والمفكر الوطني الكبير. فأن يكون الإنسان إنساناً في ظروف كالتى تعيشها والتي تفتقد لمقوماتها الأخلاقية، وما نشهده من صمت مطبق، عالمياً وعربياً، أمام مشهد شعب يذهب به الاحتلال إلى الجبلية، عبر المجازر والحملات اليومية فهذه ميزة، أن تكون مفكراً، حلماً في زمن بات الوطن فيه سلعة للمقايضة عند البعض، فهذا أمر ينطوي على شأن عظيم وكبير، بل ورائع. أن تكون دمثاً عطوفاً محباً في زمن فيه بورصة العواطف والأحاسيس في تدن متواصل، إنها العظمة بحد ذاتها.

رغم أن فقدان، أي فقدان لصديق أو رفيق عزيز، هو حالة مادية وإنسانية وشعورية، لا يمكن لأحد أن يقدر مقدار عمقها إلا لحظة وقوعها. وما نحن يا صابر، تعيش حالة فقدان هذه، ونحن نطوي مشاعرنا محملة بالفجيرة والمرارة.

كان صابر يوظف أوجاعه الصغيرة أو الكبيرة أفكاراً، أحلاماً، ومواقفاً لمعالجة أوجاع الوطن والقضية، وبقي رغم الانحسار والحصار موشحاً بوشاح الوطن، ووشاح الجبهة والقضية، فهو ذاكرة الوطن والقضية الخصبية، التي لا تنضب، هكذا هم الثوريون الشرفاء الذين صقلتهم تجربة النضال الوطني الفلسطيني عموماً، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خصوصاً، لأنهم يضحون من نبضات قلوبهم المرهقة حتى الاستنزاف في شرايين القضية دماً في زمن أحوج ما تكون فيه القضية إلى الفكر والعمل وإرادة النضال.

صابر يغادرنا في الزمن الفلسطيني الأصعب، وربما الأخطر، حيث تتواصل المجازر والمذابح اليومية ضد شعبنا في رفح وكل الأراضي الفلسطينية المحتلة، مترافقة مع

سياسة تدمير البيوت وتهجير أهلها ومع كل محاولات تمرير مؤامرات الذبح السياسي لقتيلنا على طريق شطبها.

في ذكرى أربعين الرفيق الغالي صابر محي الدين من الصعب علينا اختصار هذا المناضل الفذ بموقف أو مواقف سياسية، رغم أن السياسة كانت أهم مفرداته اليومية، وذلك لأنه قدم نموذجاً كيف يكون المثقف فارساً وحالماً ومناضلاً وإنساناً، فهو الرجل الذي مزج باقتدار بين براعة الخطاب السياسي وغنى الخطاب الثقافي، بالتزاوج مع تجربة ثرية وغنية يتكئ عليها في قراءة واقع المقاومة والقضية والانتماء السياسي.

صابر أنت بالنسبة لرفاقتك، وبالنسبة لي على وجه الخصوص، عصي على الموت، وإن كان قد حدث، فإن غادرتنا جسداً، فلن تغادر قلوبنا وعقولنا فكراً وروحاً، فقد أمسكت بنا بما لك وما عليك من مناقب، وبما لك علينا وعلى الحياة من فكر ومواقف، كنت قائداً حقيقياً، ومفكراً مبدعاً وعميقاً، احتللت موقعك في القيادة والفكر بجدارية واستحقاق، مكلمة بمسيرة عقود من العطاء والنضال، والتي لا تحتزنها الكلمات أو الصفحات.

خارطة فلسطين يكتبها اليوم شهداء فلسطين، وتغذيها دماؤهم الزكية، وعندما يصبح الوطن كلمة، رصاصة، وتضحية وشهادة، يكون صابر قد خرج من فلسطين، وعاد إليها شهيداً. وأخيراً أوجه لك، ولكل شهداء فلسطين الأبرار تحية وإكبار وإجلال، وسنبقى جميعاً أوفياء للمبادئ التي آمننا بها جميعاً.

ولك تحية رفاقتك في مركز الغد العربي للدراسات، الذي شاركت أنت بتأسيسه، وكلنا يطمح أن يصبح هذا المركز المنارة الثقافية والعلمية التي تضيء دروب الأجيال القادمة.

كلمة آل الشهيد.. ألقها زوجته

الدكتورة هناء العلمي

الأخوة والأخوات

أيها الحضور الكريم.....

شاء القدر أن تلقتني في مناسبة تأبين الشهيد صابر، كما شاء القدر أن تلقتني مكللين في ثياب الحداد على رحيله.

الشهيد صابر الإنسان والأب والزوج ورفيق الدرب، تركنا فجأة وكانت فاجعة الرحيل وصدمتها الصعبة.

انتظرتناك كي تعود يا صابر إلى البيت، وكعادتك محملاً بأوراق وكتب، محملاً بالمهام والهموم الوطنية.. انتظرتناك أنا والأبناء طارق



السيدة هناء العلمي

وغسان، كي تعود إلى مكتبك وطاوتلك التي تركناها كما هي عليها أوراقك ومشروعك الكتابي والدراسات، التي لم تكن قد انتهت منها بعد.

طاوتلك كما هي، أنظر إليها كل صباح وكل ساعة، وأراك تجلس خلفها، تفكر وتكتب، لا تريد أن تقطع هدوءك الضامت، تكتب وتنسى ذاتك المندمجة حد التطابق مع الكتابة.

كانت الكتابة ملجأ صابر، ومتراسه الذي منه يرى الحياة أبهى وأجمل، وكما عرفته كان يستمر في الكتابة حتى وهو في ظروف صحية صعبة. انتظرتناك طويلاً في البيت كي تعود، وعدت إلى حيث النهاية.. إلى مثواك الأخير.. وتلك كانت أصعب اللحظات، أن تراك في المشهد الأخير.

عدت مع أكابيل الزهور، محملاً في نعش الشهادة، ملفوفاً بعلم فلسطين، كما يعود أبطال التراجيديا من رحلتهم ومشوارهم، لتعانق الشهداء الأبطال في فلسطين، شهداء المقاومة والانتفاضة.

نفتقدك يا صابر في كل لحظة.. نفتقدك المكتبة والكتب والأوراق.. نفتقدك القضية الفلسطينية.. هي في أمس الحاجة إلى أمثالك، افتقدناك، ولكن أنت كما أنت حاضر في مشاعرنا وأحاسيسنا، وخطواتنا وتفكيرنا... حاضر بقوة في الوجدان وفي القلب، وحاضر لدى رفاقتك وأصدقائك ومحبيك، الذين حزنوا على رحيلك.

كان صابر في حياته يمثل صورة نادرة عن الإنسان المثقف والمفكر والمناضل، وفي حياتي جسد صابر صورة الإنسان بصفاته الإنسانية الفريدة، وجسد الصفات الجمالية كلها، مثلما ندر حياته كي يكون عطاؤه للناس وللقضية غير محدود، كان يعمل بصمت بعيداً عن الأضواء

والاستعراض. وأحبه الناس والرفاق والأصدقاء بسبب تواضعه ومثاليته العالية.

كان صابر بالنسبة لنا يمثل الأمل في كل شيء.. الأمل في الحياة وفي استمراريتها، وعندما ذهب إلى داخل فلسطين، شكل عندي أمل العودة إلى الوطن، وأصبحت أقرب إلى حلم العودة، ولكن لم تطل إقامته في رام الله وجنين ومسقط رأسه سيلة الحارثية، كنا نستعيد معه ما فقدناه طيلة عشرات السنين، نستعيد وطننا نسافر إليه كل يوم، ولا نصل، كما كان هو يستعيد ذكرياته وذاكرته مع الوطن.

انتظرتناك طويلاً يا صابر كي تعود بنا من المنفى، وتعيدنا إلى الوطن، وكنت تعمل من أجل ذلك، وما أنت اليوم رحلت، ولكن تركت لنا حلم العودة الذي سيتحقق يوماً، من خلال صمود أهلنا في الوطن المحتل.. من خلال الانتفاضة والمقاومة الباسلة، التي كتبت الكثير من الدراسات عنها. وقبل رحيلك بأيام كانت الانتفاضة تدخل عامها الرابع، وأبيت إلا أن تكتب عنها، وكنت تسابق الموت وكتبت عنها ودخلت أنت مع الانتفاضة عامها الرابع.

كانت الانتفاضة هاجس صابر الذي لا يفارقه، كانت تشغل تفكيره، فيكتب بدافع الأمل.. الأمل في الانتصار على كل ممارسات العدو الصهيوني العنصري.

كان صابر يتقن قراءة الواقع مسكون بالرؤى والإشراق والأحلام النبيلة، وكان محافظاً على رؤيته، ولكن لم تكتمل فرحته، بأن يرى كتابه الأخير الذي صدر بعد رحيله، وشاء القدر أن يرحل صابر مبكراً.

نتذكر صابر في العديد من المحطات في مشواره النضالي، نتذكره عندما كان رئيس تحرير مجلة الهدف، وكان يعطي كل وقته في سبيل استنهاض المشهد الإعلامي، وأيضاً مديراً لمركز الغد العربي للدراسات، نتذكره صلماً ذا إرادة، نتذكر فيه الإنسان الحالم العاطفي، نتذكر الأب الذي يصنع مستقبل الأجيال، نتذكره برفقة الحكيم جورج حبش في المسيرة النضالية للجبهة الشعبية، كان متفانلاً بوزع ذاته ووقته على العمل، متجاوزاً زمن الإحباط، كانت فيه شفافية وجرأة المثقف النقدي، ولديه البصيرة السياسية، ويمتلك ذكاء الإحساس وعمق الضمير والوجدان.

انتظرتناك وعاد إلينا مع مطلع الدعم ومطلع الشمس التي ستبقى ساطعة بمشاهداتها على ما تركه صابر من إرث نضالي منحه لفلسطين... ومحتته هي الأخرى الحياة والشجاعة والجرأة، فكتب لها وعنها، وكتبته فلسطين في سجل شهدائها الخالدين.

حزب الوحدة الشعبية في الأردن يؤبن الرفيق صابر محي الدين

أحيا حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني ذكرى الأربعين لوفاة الرفيق المناضل صابر محي الدين عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/عضو المجلس الوطني الفلسطيني/عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب

والصحفيين الفلسطينيين/ رئيس تحرير مجلة الهدف سابقاً، وذلك بإقامة مهرجان تأبيني لذكرى الفقيه بمشاركة الضعاليات السياسية والثقافية وبحضور حوالي ٥٠٠ شخص وتضمن المهرجان البرنامج التالي:-

– كلمة رابطة الكتاب ألقاها رئيس الرابطة الدكتور أحمد ماضي.
– كلمة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ألقاها الأستاذ رشاد أبو شاور.
– كلمة منتدى الفكر الاشتراكي ألقاها رئيس المنتدى الأستاذ موفق محادين.
– كلمة أحزاب المعارضة الوطنية الأردنية ألقاها رئيس الدورة الحالية للجنة التنسيق الأستاذ فؤاد دبور.
– كلمة مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدكتور جورج حبش ألقاها بالنيابة عنه الرفيقة المناضلة ليلي خالد.
– كلمة عائلة الشهيد ألقاها الدكتورة هناء العلمي زوجة الشهيد.
– كلمة حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني ألقاها أمين عام الحزب الدكتور سعيد ذياب

ثم كانت كلمة الأستاذ رشاد أبو شاور عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين:

عرفته مخلصاً لتوحيد الطاقات، لا متعصبا للفصيل الذي ينتمي إليه. كان بعيداً عن الاستعراض، إنه واحد من الذين لا يشكون ولا يتعبون، فهو عملي قليل الكلام إذا لم يكن للكلام ضرورة، كأنه روح وضوء يسري في المكان لا ضجيج ولا جلبلة، كيف لي أن أرثي الصديق صابر محي الدين وأن أغرق في الحزن، دون أن أذكر نفسي ومن هم هنا الآن ورفاقه وإخوانه في الثورة الفلسطينية والانتفاضة بأخلاقه الرفيعة ومناقبه ونظافته يده وطهارته سلوكه وجاهزيته الدائمة للعمل، كان يتألم دون أن يعلن وكأنه يلطم قهره وألمه ولعل هذا ما فاجأني عندما كنت معه في اليونان ودهمت قلبه الضربة اللثيمة الأولى ونجا منها، إنه صاحب تلك الضحكة الهامسة،

يدنس نفسه وسيرته كغيره ممن باعوا واشتروا وغيروا ولعبوا على كل الحبال، تصوروا حتى يوم رحيله لم أكن أعرف من أي بلد هو أو عائلته؟ كانت عائلته فلسطين والعروبة وأسرته الجبهة الشعبية وآله وأقاربه كل الشرفاء.. ولذا أيها الشرفاء الأوفياء الأنقياء هذا واحد ممن يليق بهم الحزن.

الأستاذ موفق محادين رئيس منتدى الفكر الاشتراكي قال في كلمته:

ينتمي صابر محي الدين إلى ما يمكن تسميته بالراдикаلية السياسية مقارنة مع الانتهازيين والدغماليين.

صابر محي الدين ابن هذه المدرسة كما جسدها في المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها القائد المؤسس جورج حبش، لا انعزالية رومانسية وتصوف ثوري ولا تكفير ولا هجرة وفي الوقت نفسه لا تكالب رخيص وانزلاقات قاتلة تحول الوطن إلى مكعبات ومربعات متناثرة وأجندة صغيرة مجزأة باسم ميزان القوى والرياح غير المواتية إلى ما يندى له الجبين، السمسرة كما ابتدأته أوصلو ووادي عربة وكما انتهى فيما يسمى بميثاق جنيف الذي أسقط حق العودة.

الموضوع الثاني في مدرسة الراديكالية السياسية كما يمثلها صابر محي الدين وغيره من رفاق الحكيم هو الثقة بالمقاومة وإرادة القتال، ليس باعتبارها مجرد أداة أو أسلوب في العمل بل بوصفها قانون الحياة الذي يطغى هذه الأيام على ما سواه من قوانين.

كلمة الأستاذ فؤاد دبور رئيس الدورة الحالية للجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الوطنية الأردنية:

تلتقي اليوم لتأبين المرحوم صابر محي الدين، والأمة العربية تواجه مرحلة من أصعب مراحل تاريخها المعاصر، حيث تشتد حرب الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني ضد شعبنا العربي الفلسطيني، باستخدام كافة أنواع أدوات الحرب وأساليبها، من قتل واعتقال واعتقال وحصار ودمار للنيل من إرادة هذا الشعب الصابر الصامد، والنيل من عزيمته وإصراره على مقاومة العدو لطرده من أرض فلسطين، ورغم كل جبروت القوة وأدواتها فقد فشل قادة العدو الصهيوني في تحقيق أهدافهم، وما زالت المقاومة مستمرة، مما أوقع الكيان الصهيوني في مأزق صعب أمنياً وسياسياً واقتصادياً، وهذا الأمر جعل الإدارة الأمريكية الشريكة للصهيانية في عوانتهم، أن تتحرك وتقدم مشاريع تأمرية تصفوية تستهدف تصفية القضية

على التحمل والصمود وعطاء الشهداء قد أفضل هذه المؤامرة ومشاريعها.

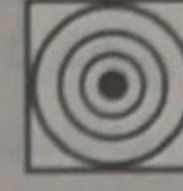
وفي الختام تحدث الدكتور سعيد ذياب أمين عام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني فقال:

تلتقي اليوم أخوة وأصدقاء ورفاق، جميعاً لنؤبن رفيقنا صابر محي الدين (أبو طارق) الذي غادرنا فجأة وقبل الأوان، نؤبن رفيقاً عزيزاً شعرنا بالخسارة الجسيمة لفقدانه حد الفاجعة.

إننا ونحن نؤبن الفقيه الغالي نستذكر سويًا مسيرة حياته المليئة بالبدل والعطاء فمنذ بواكير صباه كان دائماً وسط الحدث وليس خارجه، مؤثراً ومثأراً به، ولأنه كذلك كان انتماءه لحركة القوميين العرب مبكراً، ومن ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ليشارك من خلالها في النضال من أجل قضيتته الوطنية وقضايا أمته العربية ورؤيته الأممية.

ونحن نؤبنك يا أبا طارق فإن وقوفنا في هذه المناسبة بما لها من مهابة وجلال نستحضر معك كل شهداء شعبنا العربي الشباب فلسطين، والسيد هيثم دوبا نائب رئيس اتحاد شببية الثورة كلمة شباب سوريا، والسيد روح الله أوحدي أمين المؤتمر الطلابي لدعم الانتفاضة الفلسطينية كلمة شباب ايران، والأخ علي ديموش مسؤول العلاقات الخارجية لحزب الله كلمة المقاومة اللبنانية، والدكتور أحمد برقواوي كلمة الانتفاضة والمقاومة.

يتركنا الرفيق صابر محي الدين في لحظة هي بحق من أصعب اللحظات وأدقها وأكثرها حساسية وخطورة، فالانتفاضة والقضية الوطنية الفلسطينية مستهدفة بالإجهاد عليها وتصفيتتها وفرض التصور الأمريكي الصهيوني، والأمة العربية مهددة بإعادة رسمها وفق المشيئة الأمريكية والعراق محتل والتهديدات ضد سوريا ولبنان وإيران واضحة ومكشوفة، والنظام الرسمي العربي مرعوب والأيدي مرتعشة لا تقوى على فعل أي شيء ولكن المقاومة في أرض الرافدين تثبت للإدارة الأمريكية المتحركة، ونفس الصورة في فلسطين وبالرغم من همجية الصهيانية وقسوتهم استطاع الشعب الفلسطيني إفشال مخططاتهم، وأثبت للقاصي والداني أن حقوقه ليست برسم البيع أو المساومة، وأن هذا الشعب يبرهن كل يوم جدارته بامتياز



انعقد في مدينة الشباب بدمشق مؤتمر القدس الرابع لشباب فلسطين، بعد ظهر يوم الخميس ٢٠/١١/٢٠٠٣، تحت شعار «الانتفاضة..المقاومة..التحرير»، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للقدس، الذي يصادف يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان من كل عام، وبرعاية كريمة من سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق.. وحضر حفل الافتتاح عدد كبير من الشخصيات الوطنية والثقافية والاجتماعية والدينية، بالإضافة الى أعضاء المؤتمر من الشباب الفلسطيني، ويعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم، قدم الأخ عمر حسن تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وألقيت في المؤتمر عدة كلمات، حيث ألقى الدكتور محمد العدلوني رئيس المؤتمر كلمة، والرفيق عبد الكريم شرقي منسق منظمة الشبيبة الفلسطينية كلمة شباب فلسطين، والسيد هيثم دوبا نائب رئيس اتحاد شببية الثورة كلمة شباب سوريا، والسيد روح الله أوحدي أمين المؤتمر الطلابي لدعم الانتفاضة الفلسطينية كلمة شباب ايران، والأخ علي ديموش مسؤول العلاقات الخارجية لحزب الله كلمة المقاومة اللبنانية، والدكتور أحمد برقواوي كلمة الانتفاضة والمقاومة.

وأكدت الكلمات على عروية القدس، وعلى وحدة الخندق النضالي، ودعت الكلمات الى دعم الصمود والمقاومة في وجه الاعتداءات الوحشية التي يرتكبها العدو الصهيوني بحق أبناء شعبنا الفلسطيني في الضفة والقطاع، وأشادت الكلمات بسوريا باعتبارها قلعة الصمود العربي، كما وجهت التحية الى الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وإلى المعتقلين في السجون الاسرائيلية.

وكان الرفيق عبد الكريم شرقي قد ألقى كلمة شباب فلسطين فيما يلي أهم ما جاء فيها:-

من المؤسف في ظل هذه الظروف الحرجة التي تعصف بشعبنا وأمتنا، أن نجد فريق من المتهافتين مازال يسعى وراء أوامم التسوية.. ليطلوا علينا بما سمي بوثيقة جنيف وليعيدوا نفس المنهج المهزوم الذي ثبت عقمه طيلة فترة مفاوضات أوسلو وماتلاها، فهذه الوثيقة جاءت لتقرر بشرعية ويهودية دولة الكيان الصهيوني، وتسقط حق العودة، نقول لهؤلاء ومن يقف وراءهم.. إننا نحن الشباب الفلسطيني لا يمكن لأحد أن يورثنا اتفاقات الذل والإذعان، لأن مصيرها السعة مل.

تحت شعار «الانتفاضة..المقاومة..التحرير»

انعقاد مؤتمر القدس الرابع لشباب فلسطين بدمشق

متابعة عصام سلامة

الدكتور برقواوي قال في كلمته: إن إحياء يوم القدس هو في أهم معانيه أن تبقى القدس حاضرة في الوجدان العربي والفلسطيني دائماً، فإذا كانت القدس رمزاً لكلية الحق، فإن وجود اسرائيل هو رمز لكلية الباطل، إذا، فيوم القدس هو تأكيد لحق مسلوب، والقدس بهذا المعنى هي مكان لكل من أراد السموا، الصهيوني يحول القدس الى إعادة السبي والخراب، فمعنى عودة الصهيوني الى القدس هي عودة الى الوهم.. ولا تتم إلا من خلال الحرب والقتل والدمار، بينما القدس بالمعنى الاسلامي والمسيحي هي المحبة والسلام، وشتان بين المعنيين.

وبعدا استكمل المؤتمر أعماله، حيث عقدت الجلسة الأولى التي خصصت لنودة ثقافية فكرية أدارها الدكتور حسن الباش، وأقيمت فيها محاضرتين، للدكتور علي عقلة عرسان، حول المتغيرات الراهنة، وأثرها على الواقعين العربي والاسلامي، أما المحاضرة الثانية للدكتور عدنان أبو عمسة، حول دور الشباب العربي والمسلم راهنا ومستقبلا، ثم دار نقاش مع المؤتمرين حولهما.

الجلسة الثانية، تم فيها عرض فيلم «فن الحياة» للمخرج إياد الداود، ويتحدث الفيلم عن نماذج بعض الاستشهاديين الفلسطينيين، وبعد انتهاء عرض الفيلم دار نقاش حوله، ثم عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر حيث بدأت الجلسة بأمنية شعرية للشاعر مفيد خنسة ألقى فيها قصيدة بعنوان: «من حديث النار، وهي مهداة لروح الشهيد الطفل محمد الدرا، ثم جرى إعلان نتائج المسابقة وتوزيع الجوائز على الفائزين في مجالات: البحوث والشعر والقصة القصيرة والفرن التشكيلي.

وفي ختام أعمال المؤتمر تليت برقيات الشكر لكل من الرئيس السوري بشار الأسد والرئيس الإيراني محمد خامني ومرشد الثورة الإسلامية علي خامني، وتلي بعد ذلك البيان الختامي الذي أكد على دعم المقاومة والانتفاضة.

وبمناسبة يوم القدس العالمي الموافق ٢١/١١/٢٠٠٣ انطلقت مسيرة شعبية حاشدة من أمام جامع الوسيم في مخيم اليرموك بعد صلاة الجمعة، وفي طريقها الى مقبرة الشهداء هتف المواطنين خلالها بالشعارات الوطنية ورفعوا الأعلام الفلسطينية وأكدوا على الاستمرار بالمقاومة والانتفاضة حتى تحقيق الأهداف الوطنية في العودة وتقرير المصير والعودة المستقلة

الاحتلال الأمريكي للعراق وانعكاساته الخليجية

عبدالرحمن النعيمي

خرجت الولايات المتحدة وبريطانيا على الإجماع الشعبي الدولي الذي عبر عن نفسه بالمظاهرات الملايينية في مختلف عواصم العالم، وعلى المؤسسات الدولية في التعاطي مع المسألة العراقية، عندما قررت إسقاط النظام العراقي بالقوة المسلحة، حيث ثبت لاحقاً بطلان الذريعة الأساسية التي أشهرتها واشنطن لتبرير عدوانها وغزوها فاحتلالها للعراق.. بعدم قدرة فرق التفتيش الدولية ولا قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني والمتعدد الجنسيات التي سارت في إمره القوات الأمريكية، أن تكتشف . بعد احتلال العراق لمدة تزيد على سبعة اشهر . أية أسلحة دمار شامل !!



كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد تغيير النظام العراقي.. ليس لأنه نظام شمولي واستبدادي وقمعي (فقد وقفت معه في محطات عديدة).. وإنما لأنه اتخذ موقفاً مبدئياً صارماً من القضية الفلسطينية، وتحالف مع القوى الراديكالية الفلسطينية، وقدم الدعم للكثير من المؤسسات والمجاهدين الفلسطينيين، إضافة إلى تحالفاته الدولية التي راهن فيها على روسيا والى حد ما على فرنسا للوقوف في وجه واشنطن.. في الوقت الذي أرادت الولايات المتحدة أن يكون الحادي عشر من سبتمبر منطلقاً للسيطرة على كثرة من بلدان العالم، وخاصة النفطية، وتقوية مركزها وسط الكواكب، واعتبار نفسها شرطي العالم، تقود معسكر «الخبر» في مواجهة معسكر «الشر»، ومواجهة كافة القوى الديمقراطية والإسلامية المؤيدة لحركة التحرر الفلسطينية.

٢. اختلال ميزان القوى الإقليمي على ضوء الاحتلال الأمريكي لأحد أبرز بلدان الخليج .
٣. الموقف من القضية الفلسطينية في المسألة العراقية.
٤. الحديث عن ديمقراطية المنطقة والنموذج العراقي.

أولاً: يمثل الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق بادرة خطيرة في العلاقات الدولية، حيث لم يسبق لدولة استعمارية بعد الحرب العالمية الثانية أن استولت على بلد ووضعت عليه حاكماً عسكرياً أو مدنياً، وأعلنت بوقاحة سافرة أنها ستحتل ذلك البلد لمدة تطول أو تقصر، حسب ما تراه محققاً للخطة التي وضعتها مسبقاً، دون الإعلان الكافي عن هذه الخطة، إلا بشكل عمومي، مما أربك الحلفاء قبل الأعداء، وقد قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان، وأسقطت النظام السياسي الحاكم هناك، لكنها أقامت حكماً عميلاً مرتبطاً معها، وأبقت قواتها العسكرية بقرارات دولية.. ولم تعين حاكماً أمريكياً عليه، وبالتالي فإن النموذج العراقي هو حالة متقدمة من الخطط العدوانية الأمريكية، التي أثار الرعب لدى جيران العراق، بعد التهديدات الأمريكية المتكررة لدمشق وطهران، خاصة وأن الخلافات بين واشنطن وعدد من الدول العربية وإيران تتزايد، وتهديد الولايات المتحدة لهذه البلدان بأنها لن تتردد عن الحفاظ على مصالحها وسن قوانين أمريكية (قانون محاسبة سوريا، قانون محاسبة السعودية!) تجيز للحكومة القيام بأية أعمال عسكرية أو غيرها لفرض إملاءتها على هذه الدول.

بالنسبة لمنطقة الخليج فإن الولايات المتحدة قد اكتشفت أن عدداً من دول المنطقة سواء المملكة العربية السعودية أو الكويت أو

الإدارة الأمريكية تنظيم القاعدة بأنه وراء هذه التفجيرات، وبيدات وسائل الإعلام الأمريكية تشير إلى دور السعوديين في هذه العمليات.. وبدات الضغوطات الأمريكية تتجه نحو المؤسسة التعليمية والعسكرية والأمنية السعودية. ففي الأولى هناك مراكز توجيه الأيديولوجي السلفي الذي يرى أن عليه نشر الإسلام الوهابي المتزمت إلى كل أنحاء العالم، وأن النفط يجب أن يسخر لصالح الدعوة السلفية.. أما المؤسسات الأمنية والعسكرية فإن الحضور القبلي والجماعات السلفية كبير للغاية فيها، ويرى البعض بأن العدد الأكبر من أفراد القوات المسلحة وأجهزة الأمن تتعاطف مع الحركة السلفية نظراً لاعتماد النظام على شرائح معينة في المجتمع.. تدافع عن أيديولوجية النظام شأنها في ذلك شأن الأنظمة الأيديولوجية التي يشكل الجيش وأجهزة الأمن القوى المادية التي يعتمد عليها النظام..

وبالتالي فإن الولايات المتحدة قد وجدت أن عليها أن تتسلل عبر مؤسسة الاستخبارات الأميركية إلى كل هذه الدول للمشاركة في مواجهة التنظيمات السلفية، بشكل علني كما حصل في اليمن بحجة المساعدة على ملاحقة العناصر الإرهابية، أو مساعدة النظام السعودي في التحقيقات الجارية ضد شبكة التنظيمات التي أقامتها الحركة السلفية وسط المجتمع ومؤسسات الدولة، وإثر كل عمل إرهابي تقوم به هذه المجموعات كما حصل في مدينة الرياض. ومن ناحية أخرى فإن الكثير من الحركات الإسلامية المعادية للولايات المتحدة تعتمد على الدعم المعنوي والمادي من قبل قوى المجتمع والدولة في هذه المنطقة، وتتدفق الأموال في جميع الاتجاهات لمساعدة المسلمين المجاهدين في مختلف أنحاء العالم، لذا فإن المخطط الأمريكي هو تحفيز البحر من حول السمك، وإغلاق قنوات الدعم تجمعها المؤسسات الخيرية في هذه المنطقة، والتي تصب لصالح حركة القاعدة، أو نشر الإسلام السلفي، أو تمويل حركات التمرد الإسلامية في العديد من بلدان العالم، إضافة إلى الدعم المقدم لحركة التحرر الفلسطينية بشقها الإسلامي، سواء حركة حماس أو الجهاد الإسلامي.

لقد احتلت الولايات المتحدة العراق بحجة الشبهة بأنه يساعد تنظيمات القاعدة، وفي حقيقة الأمر استولت على العراق من أجل النفط، وتغيير السياسات الداخلية التي يسير عليها النظام والتي تراها واشنطن مضادة

لمصالحها وسياساتها في المنطقة.. وبالتالي فإن دول الخليج تراقب بدقة المزاج الأمريكي بحيث لا يغضب عليهم إلى درجة التهديد بإسقاط أنظمتهم .. ويستجيبون للإملاءات الأمريكية في الكثير من القضايا.. في الوقت الذي يتفهم الأمريكيان أوضاعهم الخاصة ولا يضاعفون ضغوطاتهم إلا بالقدر الذي يراه الخبراء ضرورياً، وهذا ما نراه بالنسبة للمملكة السعودية حيث تتذبذب العلاقات السعودية الأمريكية في هذه المرحلة أكثر من أي فترة سابقة، ووصلت الأمور إلى درجة التهديد بإسقاط النظام السعودي وتفتيت المملكة وإقامة دول متعددة بدلاً عن الدولة الموحدة، وهي في ذلك تدغدغ عواطف بعض الفئات الإقليمية أو الدينية التي لحق بها الكثير من الغبن من جراء سياسة التمييز الطائفي أو القبلي السائدة في النظام.

ويبدو أن الوضعية السعودية خطيرة للغاية، أكثر من بقية دول الخليج الأخرى، وهذا ما يجعل البعض يتخوف من التهديدات الأمريكية حول تقسيم البلاد أو إقامة بدائل للنظام الحالي، خاصة وأن المرحلة السابقة قد ربطت العديد من كبار المسؤولين برجال القاعدة أو التنظيمات الإسلامية، وهو ما شاهدناه بالنسبة لمدير جهاز المخابرات السعودي السابق، كما أن سقوط النظام العراقي قد حفز الكثير من العناصر الإسلامية على التسلسل إلى العراق لمحاربة الأمريكان.. واستثار في الداخل غضباً شعبياً تجاوب معه النظام عبر رفضه للغزو وعدم اعترافه بمجلس الحكم العراقي، وعرقلته للعديد من المشاريع الأمريكية المتعلقة بالعراق، لمعرفته بأن مثل هذه المشاريع ستصب بالضرورة ضد المصلحة السعودية، سواء على الصعيد النفطي أو الإقليمي السياسي والعسكري.

ويبدو أن النظام السعودي يراقب بدقة الإجراءات التي تقوم بها قوات الاحتلال في العراق ومدى انعكاسها على المملكة، فحيث تحدث السيد ليزلي غليب الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية عن إمكانية تقسيم العراق إلى مناطق ثلاث، كردية وشيعية وسنية، وحيث يكون النفط والموال مؤشراً على التوجهات التقسيمية، فإن البعض يرى بأن العين الأمريكية على السعودية تشير إلى ذات التوجهات، مما دفع الوطنيين والإسلاميين في المملكة إلى تحديد موقفهم في وثائق عدة أعربوا فيها عن رفضهم المطلق للمخطط الأمريكي. لكن مخطط التقسيم المذكور قد يجد مؤيدين له إذا استمرت سياسات التمييز

الطائفي والامتيازات الكبيرة لأفراد الأسرة الحاكمة، وعدم التقدم خطوات باتجاهات إصلاحات سياسية جذرية في البلاد.

ويبدو أن هذا الإرباك في العلاقات السعودية الأمريكية قد وجدت فيه الحركات السلفية فرصة ذهبية لتطوير محاربتها ضد النظام نفسه، بتصعيد العمل المسلح بهدف إشاعة الفوضى والبلبلة وسط المجتمع وتبيان عجز النظام عن حفظ الأمن كما شاهدنا في العمليات الإرهابية التي استهدفت مجمعات سكنية قتل فيها الكثير من الأبرياء في العاصمة السعودية.. مما يعني بالنسبة للولايات المتحدة أن المملكة باتت أحد المراكز الأساسية لتنظيم القاعدة أو انصارها.. وقد تستطيع إقامة بؤر مسلحة أو تقوم بمحاولة للاستيلاء على مراكز حساسة في المنطقة كما شاهدنا عام ١٩٧٩ عندما حاول جيهمان أن يستولي على الحرم المكي، ويعلن خروج المهدي المنتظر الذي سيخلص المسلمين من الظلم اللاحق بهم!!

وبالرغم من الأخطار التي تتصاعد في المملكة من جراء المواجهات المسلحة بين السلفيين والنظام السعودي، والتي يتخوف البعض أن تسير على منوال التجربة الجزائرية، فإن الدور الأمريكي سيتصاعد من خلال الدعم الاستخباراتي والعسكري الذي ستقدمه الولايات المتحدة للنظام بالإضافة إلى خططها الشاملة لمنطقة الخليج لتغيير المناهج الدراسية باتجاه أكثر ليبرالي وأقل ارتباطاً بالقيم الدينية أو القومية.. سواء عبر الخبراء الذين تدفقوا على بلدان الخليج لدراسة المناهج الدراسية ومعرفة المواقع التي يجب السيطرة عليها أو عبر الجامعات والمدارس الخاصة التي تدفقت على المنطقة من مختلف البلدان الأمريكية والأوروبية لإقامة نظام تعليمي جديد حسب الأصول الأمريكية أو الأوروبية، وهي تجربة تلقى التأييد الكبير من قبل قطاعات واسعة من المجتمع.. ولعل النموذج القطري ابرز مثال على ذلك.

ثانياً: لا شك أن الاحتلال الأمريكي للعراق قد غير المعادلات العسكرية والأمنية في الإقليم الخليجي برمته..

ففي الفترة السابقة اعتمد الأمن على العلاقات بين أطراف المثلث الإيراني العراقي السعودي.. وكانت الولايات المتحدة تتمتع بقوة عسكرية متزايدة منذ الحرب العراقية الإيرانية.. تحافظ على أمن واستقرار الصادرات النفطية.. وتستفيد من التناقضات بين الدول الثلاث.. وتعلن وقوفها ومساندتها لحلفائها في دول مجلس التعاون الخليجي، هذا الإسناد الذي

عبر عن نفسه بوضوح في مواجهة الغزو العراقي للكويت وشن حرب الصحراء لإخراج القوات العراقية وإعادة الأسرة الحاكمة إلى الكويت.. لكنها الآن أصبحت أحد أطراف المثلث الخليجي بعد أن أصبح العراق تحت الاحتلال الأمريكي.

في فترة ما قبل الاحتلال، اعتمدت الولايات المتحدة على قواعد عسكرية لها منتشرة في كافة الدول الخليجية، بالإضافة إلى حضورها البحري الكثيف الذي يتزايد مع كل أزمة تعيشها المنطقة.. واستفادت واشنطن من الصراعات بين دول الخليج نفسها، حيث تمكنت من الحصول على تسهيلات كبيرة ومغرية في قطر، جعلها تنقل الكثير من مواقعها العسكرية إلى قاعدة العديد في جنوب قطر، وتهدد بسحب كل قواتها من المملكة!!

أما بعد احتلال العراق.. فقد اختلف الوضع كلية.. حيث يتواجد في هذا البلد قرابة ١٣٠ ألف جندي أمريكي، وتخطط واشنطن لبقاء عسكري طويل الأمد على غرار ألمانيا أو اليابان، ولا تدرج في الخطط المعلنة مسألة وجودها العسكري في العراق، بل إن هناك إجماعاً بأن واشنطن تبني عدداً من القواعد العسكرية الضخمة في العراق (شماله وجنوبه والوسط) لتكون المراكز العسكرية الأساسية لها في المنطقة مهددة بذلك ثوابت الأمن الإقليمي التاريخية.. مهدة بين الفترة والأخرى كلاً من إيران وسوريا، بل إن حضورها العسكري في العراق يشير إلى إمكانية تخفيف حضورها العسكري في تركيا وبالتالي العلاقات العسكرية الأمريكية التركية.

وإذا أمعنا النظر في هذه المسألة.. خاصة بعد حل الجيش العراقي المبني على عقيدة قتالية قومية ووطنية.. فإن تحولات راديكالية في ميزان القوى العسكري والتحالفات الإقليمية قد حصلت بعد التاسع من ابريل ٢٠٠٣، حيث بات العراق العسكري الجديد حليفاً وسنداً أساسياً للكيان الصهيوني.. في مواجهة كل دول المنطقة.. كما باتت الولايات المتحدة قوة إقليمية خليجية أكبر بكثير من الفترة السابقة، يمكنها أن تفرض شروط الأمن على دول المنطقة، ويمكنها تفكيك المنظومة الدفاعية الخليجية التعاونية عبر ربط هذه الدولة الخليجية أو تلك بكامل منظومة الدفاع الأمريكية في العراق والخليج (كما نشاهد في الكويت وقطر على سبيل المثال).

القضية الفلسطينية عن موضوعه النفط العربي في مواجهة الدعوات القومية المتكررة بربط النفط بفلسطين خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ والحظر النفطي عن الولايات المتحدة والدول التي وقفت إلى جانب العدو الصهيوني.. إلا أن كافة الجهود التي بذلتها واشنطن لزعزعة القضية الفلسطينية عن الوجودان الشعبي في منطقة الخليج قد باءت بالفشل.. فقد حظيت الحركات الإسلامية الفلسطينية المجاهدة بالتأييد والدعم الشعبي والرسمي في هذه المنطقة.. كما حظيت الحركات الديمقراطية المناضلة الفلسطينية بالتأييد من قطاعات متنورة في المجتمع الخليجي.. وبرزت الكثير من لجان الدعم والمساندة المالية وجمعيات مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، حيث مثل التجمع الخليجي الذي عقد مؤتمراته الثلاث في الكويت والبحرين والمظاهرات والمسيرات التضامنية مع انتفاضة الشعب الفلسطيني مؤشراً واضحاً للموقف الشعبي من القضية الفلسطينية..

وإذا كانت الولايات المتحدة معنية بالشأن الصهيوني، فإنها تريد تخفيف منابع الدعم المالي العربي والإسلامي لحركة حماس والجهاد الإسلامي والحركات الثورية الفلسطينية من مختلف بلدان الخليج، وبشكل خاص من المملكة العربية، وهذا ما نلاحظه في الوقت الحاضر خاصة بعد أن اعتبرت واشنطن الموقف الصهيوني موقفاً وسعت إلى الضغط على كافة دول العالم لتجميد حسابات المنظمات الجهادية الفلسطينية كحماس والجهاد الإسلامي.. وفي الوقت الذي تحصل واشنطن على بعض التأييد من قبل بعض الرسميين في هذه المنطقة كإدانة العمليات الاستشهادية أو الحديث عن إمكانية التطبيع مع العدو الصهيوني.. فإن الموقف الشعبي المعارض للولايات المتحدة مرتبط أشد الارتباط بالعداء للكيان الصهيوني وتجذر هذا الموقف باعتبار الكيان قاعدة عنصرية استيطانية لا بد من إزالتها.. وإقامة دولة ديمقراطية في فلسطين في حل تاريخي للإشكالية التي أوجدتها الحركة الصهيونية بإقامة قاعدة لها في فلسطين.

رابعاً: التوجه الأمريكي لدمقرطة المنطقة: لا يبدو أن هناك نموذجاً ديمقراطياً وضعته واشنطن للمنطقة تطالب الآخرين أن يقتدوا به.. وحيث أنها تحدثت عن النموذج العراقي..

فإذا كانت الديمقراطية تستند على المساواة والعدالة وإلغاء كافة أشكال التمييز العرقي والمذهبي والقومي، وحرية التعبير والتنظيم والمعتقد وإقامة المؤسسات الدستورية العقدية وتداول السلطة واستقلال القضاء ونزاهته.. فإن النموذج العراقي المتأمرك يختلف كثيراً عن هذه القيم التي يؤمن بها الكثير من الديمقراطيين في المنطقة والتي يرون فيها المخرج من الأنظمة الشمولية أو أنظمة الأسر الحاكمة القبلية العاجزة عن التطور.

فمنذ البداية وقفت الإدارة الأمريكية إلى جانب عملائها في المؤتمر الوطني العراقي، الذي شكل لجنة لاستئصال حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، بكل ما يرمز له من تاريخ وأفكار قومية.. ثم واجهت كل المحطات الفضائية والمراسلين الصحفيين، فأغلقت مكتب العربية وقبلها قتلت العديد من الصحفيين والمراسلين لفضائية الجزيرة وأبوظبي.. ولا تتردد عن منع المراسلين من نشر الأخبار الحقيقية أو الصور المتعلقة بالممارسات البشعة لقوات الاحتلال.. ولا تزال ترفض الإفصاح عن الأعداد الكبيرة من المعتقلين العراقيين في السجون.. أو زيارتهم.. ومنذ البداية كانت تخطط لتقسيم العراق على أساس مذهبي وعرقي.. وأقامت مجلس الحكم العراقي على هذا الأساس.. وبالتالي فإنها لا تريد المساواة بين المواطنين وإنما تقسيم العراق وإضعافه، وإقامة ديمقراطية الطوائف وليس ديمقراطية المواطن..

ولعل النموذج البحريني يسلط الضوء على التوجه الأمريكي لدمقرطة المنطقة.. فقد ضغطت الولايات المتحدة بقوة لتحقيق الانفراج السياسي بعد وفاة الأمير السابق.. وأراد الحكم الاستفادة من هذا الضغط بتسليط الضوء على أجواء الانفراج التي قام بها، والتي كانت غير متوقعة من قبل أكثر المتفائلين بالانفراج.. لكن الثمن الذي توجب دفعه من قبل شعب البحرين وحركته السياسية كان كبيراً للغاية.. حيث استبدل الحكم الدستوري العقدي السابق بدستور منحة جعل البلاد ملكية مطلقة.. رافضاً الآلية التي نص عليها دستور ١٩٧٣ ومتجاوزاً لها بمرسوم سنه في الذكرى الأولى للتصديق على الميثاق الوطني (١٤ فبراير ٢٠٠٢).. وأجرى تعديلات كبيرة على صلاحيات مجلس النواب جعلته عاجزاً عن ممارسة دوره التشريعي أو الرقابي.. مما أجبر

بالتمسك بمكتسبات دستور ١٩٧٣ وميثاق العمل الوطني، والتعهدات التي صرح بها كبار المسؤولين بأن المجلس المنتخب للتشريع، والمجلس المعين للشورى فقط.

تفاوض الأمريكيان عن كل هذه التجاوزات الخطيرة.. معتبرين أن مشاركة المرأة سياسياً وإعطاء مقعد لليهود في مجلس الشورى هو المطلوب من النظام في البحرين.. أما مسألة إلغاء التمييز الطائفي العرقي، والمشاركة الحقيقية في السلطة السياسية باعتبار الشعب مصدر السلطات جميعاً، وتغيير الوزارة وإجراء اصلاحات واسعة في النظام القضائي، فإنها مسائل مؤجلة.. ولم يتردد الرئيس الأمريكي وكبار المسؤولين الأمريكيين من الإشادة بالتجربة البرلمانية البحرينية، رغم المعارضة الشعبية الواسعة لمثل هذه التجربة الهجينة، التي عبرت عن تطوير مجلس الشورى بانتخاب نصف أعضائه.. وتأكيد الدستور المنحة من جانب آخر بأن المعينين في مجلس الشورى يمثلون شعب البحرين!!!!

ويمكننا أن نشاهد هذا الدجل الأمريكي حيال السعودية.. ففي الوقت الذي تطالب

الحركة الديمقراطية والشخصيات المرموقة في البلاد ومن بينهم الشخصية الديمقراطية المعروفة من الأسرة الحاكمة، الأمير طلال بن عبد العزيز بضرورة التحول السريع إلى الملكية الدستورية، فإن الأمريكيان يشيدون بالتصريحات الرسمية حول انتخابات البلدية في السنة القادمة، ويغضون الطرف عن الاعتقالات التي استهدفت متظاهرين يطالبون بالإصلاحات خلال انعقاد مؤتمر لحقوق الإنسان في الرياض!!

وإذا أجملنا الموقف الأمريكي حيال المسألة الديمقراطية، فإنه حريص على تطوير الأنظمة الراهنة التي تصر على البقاء تحت الصفر بدرجات كثيرة.. ويطالبها بأن تكون أكثر ليبرالية وأكثر عصرية بحيث يمكنها أن تكون أكثر استجابة لمصالح ومتطلبات حضور الشركات الأميركية والمتعددة الجنسية والمستجيبة لمصلحة التطور الاقتصادي وخاصة في المملكة.

وبالرغم من هذه السلبات الكثيرة والكبيرة، فإن الإصلاح السياسي مطلوب من قبل قطاعات واسعة في المجتمع، حيث عبرت كافة القوى السياسية والشخصيات الاجتماعية والاقتصادية

الأمين العام يهنئ الرئيس السوري بذكرى الحركة التصحيحية

إن الاحتلال الأمريكي للعراق، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين سيوسع دائرة المقاومة، وها هي الإدارة الأمريكية تمر بأزمة لم تشهد مثلها من قبل. كما أن صمود المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان سيقود إلى الانتصار على المشروع الإمبريالي الأمريكي الصهيوني.

إننا في هذه المناسبة العزيرة، إذ نحني الموقف الوطني القومي الذي تمثله سورية في مواجهتها وصمودها أمام كل الضغوطات الأمريكية الصهيونية، فإننا على ثقة تامة بأن الاحتلال سيزول عن كل الأراضي العربية، لأن الاحتلال يمثل أعلى درجات الإرهاب والظلم والاضطهاد.

إن تضحيات شعبنا الفلسطيني، وتضحيات الأمة العربية تتقدم مشهد الصراع. وكما دلت التجربة فإن هذه التضحيات هي خارطة الطريق الحقيقية إلى الحرية والاستقلال، إلى النصر.

المجد والخلود لشهداء فلسطين والأمة العربية الأبرار
الحرية للأسرى والمعتقلين
النصر للمقاومة والانتفاضة

أخوكم

أحمد سعدات

الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

سجن أريحا - فلسطين، ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٢

سيادة الرئيس / الدكتور بشار حافظ الأسد المحترم
تحية العروبة، تحية فلسطين، تحية النضال....

تحل اليوم على ربوع الوطن العربي الغالي ذكرى الحركة التصحيحية المجيدة، وبهذه المناسبة اسمحو لي أن أقدم إليكم، باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بمكتبها السياسي ولجنتها المركزية وكافة مناضليها، وباسمي شخصياً، بأسمى التحيات والتبريكات، لما تحمله هذه المناسبة من معاني عظيمة، استطاعت أن تكون نموذجاً للتقدم والبناء، وأن تكون جذراً للمبادئ القومية العربية الأصيلة، وعنواناً للثوابت الوطنية.

تأتي هذه المناسبة، ونحن في ظروف بالغة الصعوبة والدقة، خصوصاً ما يمر به وطننا العربي من تطورات وتغيرات واستهدافات أمريكية صهيونية، واستخدام القوة لبسط النفوذ والهيمنة على الوطن العربي برمته.

ومع تصعيد الحملة الأمريكية الصهيونية، بعد احتلال العراق الشقيق، والاجتياحات الصهيونية المستمرة لمدن الضفة وقطاع غزة، تحاول الإدارة الأمريكية اليوم استخدام وسائل الضغط على الشقيقة سورية عبر ما تصدره من قرارات وقوانين، كان آخرها ما سمي بقانون محاسبية سورية. وكان أمريكا باتت تحل محل الشرعية الدولية. وعلى الرغم من هذه العنجهية الأمريكية الصهيونية، إلا أن سورية استطاعت أن تقف وتصمد بوجه هذه الضغوطات والاستهدافات التي تثيرها الإدارة الأمريكية الصهيونية.

عن ضرورة تطوير النظام السياسي باتجاه سن دساتير عقدية وإقامة مؤسسات تمثيلية وإصلاح شامل للقضاء، والسماح للأحزاب والنقابات والاتحاد المهنية بالعمل العلني والشرعي، وإعطاء المرأة حقوقها السياسية (حيث لا تزال ممنوعة من السياقة في المملكة العربية السعودية مثلاً).. إضافة إلى مواجهة الفساد المالي والإداري والتمييز الطائفي والعرقي، وحل مشكلة البدون، والاعتماد الكبير على القوى العاملة الأجنبية التي ستكون فخاً كبيراً منصوباً لهذه الأنظمة، إذا لم تتمكن من سن تشريعات إنسانية وعادلة بحق هذه الملايين من البشر.

والجميع يتطلع إلى العراق.. إلى المقاومة الشعبية والمسلحة المستهدفة لإخراج قوات الاحتلال.. والجهود الشعبية الكبيرة لقبول المشاريع التقسيمية والطائفية التي يعتمد عليها الاحتلال.. فبمقدار ما يستطیع العراق الشعبي والمقاوم من الاستفادة من الظروف المستجدة لتحقيق شروطه في عملية الصراع الدائر حالياً، بمقدار ما يقدم إجابات على أسئلة خليجية كبيرة.

عبد الغفار شكر لـ «الهدف»:

ما لم ينهض الطرف العربي بمسؤولياته تجاه فلسطين والعراق لا تنتظروا جديدا

س: أستاذ عبد الغفار أهلا بك على صفحات الهدف.

هناك من أطلق عليك اسم «الصوت المعارض» داخل حزب التجمع» هل توافق على هذه التسمية؟ وما هي النقاط أو القضايا التي ترى أنها تستحق المعارضة في سياسات حزب التجمع؟

ج: (مبتسما) ليكن... أوافق على هذه الصفة، حيث أنني بالفعل اختلفت مع قيادة الحزب في بعض القضايا، ربما كان أهمها:

١ - المواقف السياسية الأخيرة التي تقترب من الحكم، رغم أنه يطبق سياسات تتعارض مع برنامج التجمع ومصالح القوى الاجتماعية التي يعبر عنها.

س: ... (مقاطعا) منذ متى على وجه التقريب ظهرت هذه «المواقف الأخيرة»؟

ج: هذه المواقف بدأت في الظهور منذ بداية التسعينيات، لكنها أخذت شكلا واضحا خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وتحديدًا مع الاستفتاء الأخير على رئاسة الجمهورية.

٢ - القضية الأخرى التي وقفت منها موقف المعارضة في التجمع كانت إهمال قيادة الحزب بناء التجمع كمؤسسة جماهيرية قادرة على جعل التجمع قطبا أساسيا في الصراع الدائر حول مستقبل مصر.

٣ - إهمال قيادة الحزب إعداد قيادات جديدة تعوض بها غياب القيادات الأساسية التي تختفى بحكم السن أو الوفاة.

٤ - سيطرة مجموعة محدودة متنفذة على توجهات الحزب ومواقفه، واستخدام جريدة الأهالي لخدمة هذه التوجهات.

س: يشهد حزب التجمع الآن عملا متصلا واستعدادات جادة تحضيريا للمؤتمر القادم المقرر انعقاده هذا الشهر، هل لكم أن تضعونا في أجواء هذا العمل؟

ج: يهتم حزب التجمع دائما بالتحضير الجيد لمؤتمراته العامة، حيث يسبقها حوار داخلي حول القضايا الأساسية ووجهات النظر حولها، كما يرصد تقرير سياسي كامل عن أداء الحزب خلال الفترة من المؤتمر العام السابق إلى المؤتمر الحالي، وتقييم هذا الأداء، والتوجهات السياسية المستقبلية للحزب للفترة القادمة، كما يصدر تقريرا عن الأداء التنظيمي وآخر عن الأداء الإعلامي. ويجري انتخاب الهيئات القيادية للحزب من الوحدة الأساسية حتى اللجنة المركزية من خلال مناقشة هذه الوثائق، وبالتالي تتضح اتجاهات الرأي حول القضايا الأساسية وحجم هذه الاتجاهات.

وقد طبقت هذه الأسس بالنسبة للتحضير للمؤتمر العام الخامس للحزب، الذي سيعقد في ١٧ و١٨ و١٩/١٢/٢٠٠٣، وأجريت انتخابات الهيئات القيادية، ومن الواضح أن هناك توجهًا عامًا غالبًا في الحزب، ينتقد أداء القيادة المركزية في السنوات الخمس الأخيرة ويطلب بتغيير توجهات الحزب واتخاذ موقف مستقل من الحكم، وأن يبرز التجمع في الفترة القادمة باعتباره حزب المعارضة الجذرية المعبر عن مصالح الطبقات الكادحة، وأن يتغير أداء جريدة الأهالي لتعبر بصدق عن توجهات الحزب السياسية، كما صاغها البرنامج العام وقرارات المؤتمر العام واللجنة المركزية، وأن تتناول الأهالي القضايا الأساسية للمجتمع، والافتقار بين الحكم وبين رئيس الجمهورية لأنه المسؤول الأول عما يمارسه الحكم من سياسات غير ديمقراطية وسياسات اقتصادية تضاعف من الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية القائمة في مصر. واعتقد أن المؤتمر العام القادم سيشهد مناقشات ساخنة حول هذه المسائل، وقد تأكد ذلك في الروح النقدية التي سادت اجتماع اللجنة المركزية الأخير في أكتوبر الماضي، كما سيشهد المؤتمر أيضا ظاهرة جديدة إيجابية وهي إجراء انتخابات تنافسية حول المواقع القيادية المركزية بين أكثر من مرشح، وبما يمكن اعتباره إضافة جديدة إلى الطابع الديمقراطي للتجمع.

س: يشهد المؤتمر القادم تطبيق المادة الخاصة بعدم جواز استمرار القيادات الحزبية في مواقعها لأكثر من دورتين، بما في ذلك رئيس الحزب، وهو ما يمكن اعتباره خطوة إيجابية على طريق تأكيد ديمقراطية الحزب، وي طرح بالضرورة السؤال عن دور التجمع خلال المرحلة القادمة في النضال من أجل انتزاع الحقوق والحريات الديمقراطية؟

ج: تطبيق المادة ٨ من اللائحة الداخلية للتجمع التي تنص على عدم استمرار القيادات في مواقعها أكثر من دورتين، هو تطور ديمقراطي، وفي نفس الوقت فتح الباب أمام الأجيال الجديدة لتولي مواقع المسؤولية في الحزب بعد أن تعطل ذلك لما يقرب من ربع قرن، فقد كان ملحوظا بشدة أن معظم القيادات تزيد أعمارها عن الستين سنة، بينما يمكن الآن ملاحظة أن الترشيحات للهيئات القيادية معظمها بين ٤٠ و ٥٥ سنة، وهذا تطور مهم.

أما عن موقف التجمع من الديمقراطية في المجتمع المصري فالتقرير السياسي المقدم للمؤتمر العام يعتبر أن الإصلاح السياسي والديمقراطي في مصر مهمة ذات أولوية خاصة، وأنها المدخل لتغييرات في جوانب التغييرات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والوطنية، وي طرح التجمع برنامجا متكاملًا للإصلاح السياسي، يدعو القوى الأخرى إلى تبنيه والعمل المشترك بشأنه. لكن من واقع تجريبي الشخصية طوال السنوات العشر الأخيرة فإن حزب التجمع لم يبذل الجهد الكافي من أجل وضع هذا البرنامج موضع التطبيق، واتخذ موقفا سلبيا من تكوين جبهة للقوى الديمقراطية تمارس عملا مشتركا حول الإصلاح السياسي، ومن الضروري أن يصحح التجمع موقفه من هذه المسألة إذا كان جادا في النضال من أجل الإصلاح السياسي والديمقراطي في المجتمع لأنه لا توجد قوة سياسية في مصر قادرة بمفردها على النهوض بهذه المهمة، ولا بديل عن بناء جبهة القوى الديمقراطية لتعبئة أوسع قوى ممكنة في النضال من أجل الإصلاح السياسي في مصر.

س: هل ترون أن في هذه الجبهة متسع للقوى المحجوبة عنها شرعية النظام؟

ج: بالضرورة فهي جبهة مدعو للمشاركة فيها كل من يقبل النضال من أجل الديمقراطية ولا يجوز استبعاد أي طرف منها لأي سبب من الأسباب، وهي مفتوحة للأحزاب السياسية والتيارات التي لم تحظ بوجود كيانات شرعية معبرة عنها، وكذلك الشخصيات العامة التي يمكن أن تكون ممثلة لتلك القوى المحجوبة عن الشرعية الآن، كما أنها مفتوحة أيضا وبالضرورة للمنظمات الجماهيرية ومؤسسات المجتمع المدني.

س: تدور الآن للمرة السادسة أو السابعة وقائع حوار بين الحزب الوطني وأحزاب المعارضة، ما رأيكم؟

ج: هناك سوابق للحزب الوطني في الدعوة للحوار لم يلتزم فيها بما طلبته أحزاب المعارضة، وانفرد وحده بتحديد نتائج هذه الحوارات، والمطلوب هذه المرة ليس من الحزب الوطني فقط بل أيضا من أحزاب المعارضة أن تصر على توافر الشروط التالية لهذا الحوار لكي يحقق النتائج المستهدفة منه وعلى رأسها إخراج البلاد من المأزق السياسي الاقتصادي - الاجتماعي الذي تعيشه وتزيد حدته عاما بعد الآخر، من أهم هذه الشروط:

١ - أن يشارك الجميع في وضع جدول أعمال الحوار، وبحيث يشمل قضايا الديمقراطية والاقتصاد والمشاكل الاجتماعية، ودور مصر العربي - الإقليمي وعلاقاتها الدولية، والمشكلات الاجتماعية المتفجرة وأهمها البطالة والفقر والفئات المهمشة.

٢ - أن تجري وقائع الحوار، أو جانب منها على الأقل بصورة علنية من خلال ندوات الإذاعة والتلفزيون والصحافة القومية والحزبية.

٣ - أن تشارك جميع الأطراف في صياغة نتائج الحوار وأن يتفق على آليات محددة ومواعيد محددة لتنفيذها.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الحزب الوطني يهتم في هذا الحوار بوضع نظام جديد للانتخابات والاتفاق على ميثاق شرف ينظم الدعاية الانتخابية للخروج من المأزق الذي يواجهه في الانتخابات، عندما يتمرد أعضاؤه ويرشحون أنفسهم كمستقلين في مواجهة مرشحيه.

س: تشهد الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في مصر تراجعا متصلا يقترب الآن من إحدى ذراه المأساوية، في رأيكم ما هي أسباب هذا الوضع وكيف السبيل إلى الخروج من هذا المأزق؟

ج: من الواضح أن السياسات الاقتصادية المطبقة فشلت في جذب استثمارات جديدة أجنبية أو عربية أو محلية، كما فشلت في تنفيذ برامج محددة لحل المشاكل المزمنة، مثل زيادة الصادرات والحد من الواردات ورفع معدلات الإنتاج وتوفير التمويل الكافي لمنشآت القطاع العام لاستئناف الإنتاج بعد أن فشلت في تخصيصها كما فشلت السياسات الاقتصادية في معالجة الظواهر التي أفرزتها، وهي الفقر والبطالة وتهميش فئات واسعة من المواطنين، وكانت محصلة كل هذا الفشل ارتفاع أعباء المعيشة على المواطن وهي المعيار الحقيقي للحكم على فشل أو نجاح السياسات الاجتماعية الاقتصادية المطبقة.

س: أواخر الشهر الماضي فجر الروائي الأديب صنع الله إبراهيم ما وصف بأنه «قنبلة»، ما هو تقييمكم للحدث وتداعياته؟

ج: صنع الله إبراهيم مثقف جاد اختار لحظة هامة لكي يدين مواقف النظم العربية بما فيها الحكومة المصرية، من المهم ألا يتحول هذا الموقف الإيجابي إلى احتفالية تكيل فيها المديح لصنع الله فقط، بل المهم أن يستلهم المثقفون المصريون والعرب هذا الموقف في صياغة رؤية لمواجهة المآزق الذي نعيشه، ويتحملون عبء تنفيذ هذه الرؤية مع تقديم التضحيات اللازمة مثلما فعل صنع الله.

س: بعدما بدأ أن «خريطة الطريق» قد لقيت مصير ما سبقها من مشاريع لتسوية الصراع لعربي الصهيوني مثل تقرير ميتشل وتوصيات تينيت بل واتفاق أوسلو ذاته، جاء قرار مجلس الأمن الأخير بتبني «الخريطة» وكأنه محاولة لإحيائها وبث الروح فيها، ومع ذلك يبقى مطروحا السؤال حول السيناريو البديل الذي يضمن الوصول بهذا الصراع إلى آفاق حل شامل وعادل، وآليات ترجمته على الأرض؟

ج: خريطة الطريق لا توفر الحد الأدنى من الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، فهي مجرد إجراءات للوصول الطرفين للجلوس على مائدة المفاوضات، ووعد غير محدد المعالم بدولة فلسطينية، ولا تتضمن الخريطة الآليات الكفيلة بوضعها موضع التطبيق، وصدور قرار مجلس الأمن الأخير لن يغير من الأمر شيئا، طالما بقيت الولايات المتحدة تنحاز إلى إسرائيل كليا وتساندها في تصفية المقاومة الفلسطينية. وأظن أنه من واجبنا أن ننظر إلى مستقبل القضية الفلسطينية من المنظور الصحيح الذي يتمثل في أنه ما لم ينهض الطرف العربي بمسئولياته تجاه فلسطين ومساندتها، وما لم نربط علاقاتنا بالدول الأخرى حسب موقفها من قضية فلسطين، فإننا يجب ألا نتوقع جديدا على الساحة إلا إلى الأسوأ. وفي اعتقادي أنه قبل أن ندين العنف الصهيوني والانحياز الأمريكي والتواطؤ الأوروبي، يجب أن تنهض الدول العربية بمسئولياتها وتوفير المساندة المادية والإعلامية والسياسية الكافية لاستمرار الشعب الفلسطيني في الصمود ومقاومة قوات الاحتلال الإسرائيلي، وبدون ذلك يجب ألا نتوقع من الآخرين أية مواقف إيجابية.

وعلى المستوى الفلسطيني من المهم إعادة ترتيب الأوضاع، بعد أن أثبت الشعب الفلسطيني قدرته على الصمود والمواجهة بقواه الذاتية

وبدون أية مساندة عربية أو دولية، وقدم تضحيات جمعة، وساند حركة المقاومة رغم كل المضاعف التي يواجهها في حياته اليومية، والمطلوب الآن فلسطينيا صياغة برنامج وطني واضح المعالم يحدد الأولويات وبناء قيادة وطنية تضم كل القوى الفلسطينية وفق أسس ديموقراطية، قيادة تتحمل مسؤولية تنفيذ هذا البرنامج في إطار أوسع وحدة وطنية ممكنة.

س: باتساع دائرة الهم العربي تتسع دائرة أسئلتنا، هي العراق تتأكد كل يوم حقيقة أن الديموقراطية لا تأتي على فوهات المدافع، فضلا عن أن قوات الاحتلال غير جديرة أصلا بتحقيقها، لكن على الجانب الآخر لا نستطيع تجاهل أن سقوط العراق تحت الاحتلال الأمريكي قد أفرز واقعا جديدا مختلفا نوعيا، ووصل بالمآزق العربي إلى ذراه المأساوية، ترى هل من سبيل للخروج من هذا المآزق؟

ج: في اعتقادي أن احتلال العراق هو تعبير عن فشل النظام الإقليمي العربي الممثل في جامعة الدول العربية في حماية المنطقة من التدخلات الأجنبية، كما أنه عمق من أزمة هذا النظام إلى الحد الذي أصبح معه مشلولاً وعاجزاً عن التصدي، ومن الواضح أن السبب في هذا يعود إلى أن معظم نظم الحكم العربية في حالة تبعية للولايات الأمريكية، بعضها يعتمد على أمريكا في ضمان استمراره، وبعضها يعتمد على أمريكا في سد العجز الاقتصادي، وبعضها يخشى مواجهة أمريكا فيلتزم الصمت، وبعضها كل هذا معا. وجدد هذا الوضع هو أن هذه النظم لا تعبر عن إرادة شعوبها بل تدافع عن مصالح طبقية لفئات محدودة للغاية، وبالتالي فإنها عاجزة عن مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تستطيع التصدي للاختراق الأجنبي للمنطقة، ومن هنا فإن التطور الديموقراطي في الوطن العربي يكتسب أولوية خاصة لكي تتمكن الشعوب العربية من اختيار حكماها بإرادتها الحرة والزامهم بالدفاع عن مصالحها الأساسية، وما يتطلبه ذلك من تعبئة هذه المجتمعات في إطار سياسة استقلالية قادرة على مواجهة الهيمنة الأمريكية في المنطقة، والخطر الصهيوني، ويتطلب هذا أيضا تقديم المساندة الكافية للشعب العراقي ضد الاحتلال الأمريكي والشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، والربط بين المصالح الأمريكية في المنطقة وبين اتخاذها موقفا عادلا من قضايانا العربية.

مشروع النهضة... ورقة للحوار!

عرض وتلخيص: م. ص

توطئة:

منذ قرنين على الأقل، وتحديدًا منذ الاحتكاك العربي مع الغرب الاستعماري خلال حملة نابليون في أواخر القرن الثامن عشر، وهاجس النهوض أو النهضة يسكن النخب العربية ويدفعها للتحرك لتحقيق النهضة.

أولى المحاولات النهضوية جاءت عبر حركة إصلاح ديني للدولة الإسلامية، وثانيها كانت عبر تيار الإصلاح الثقافي والفكري التي أطلق عليها اسم عصر النهضة والتنوير. والمحاولة الأكثر جدية كانت المدخل «الدولتي» أي عبر دولة عصرية قوية، فكانت التجربة الأولى في الثلث الثاني من القرن قبل الماضي مع محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا. وبقي هذا المدخل «الدولتي» يطبع العديد من المحاولات التي حركت قادة وأحزاباً تسلّموا مقاليد الحكم في بلادهم كجمال عبد الناصر، وحزب البعث، والجبهة القومية في اليمن، وجبهة التحرير الجزائرية ونجحت في جوانب لكنها بقيت قاصرة عن إحداث الثقلة النهضوية الشاملة.

لقد كان الوطن العربي ساحة غنية لنشاط حركات وتيارات متعددة المشارب الفكرية والعقائدية سواء منها الإسلامي أم الماركسي، أم القومي على أنواعه، أم الليبرالي. وعلى الرغم من أن هذه المحاولات منحت، وما تزال أجيالاً مهمة من الشباب العربي وعياً فكرياً وسلحتهم بحصانة مبدئية، ولكنها أيضاً لم تنج من التعثر الذي أصاب غيرها.

وكتعبير عن قصور هذه المحاولات برزت أفكار ونظريات تربط النهوض بقضايا محددة مثل:

- ♦ بناء المجتمع الديموقراطي.
- ♦ السعي إلى الاستقلال الشامل.
- ♦ الوحدة العربية.
- ♦ مجتمع الكفاية والعدل.
- ♦ ردم هوة التخلف التكنولوجي.
- ♦ تجديد الذات الحضارية.
- ♦ صيانة حقوق الإنسان والمجتمع المدني.
- ♦ وكلها أفكار حوارية وجهت لها الأنظار وثيقة «مشروع النهضة» المقترحة من بعض الأحزاب القومية والماركسية للإغناء والحوار.

الوثيقة - مشروع النهضة - هي تقاطع الطموح الذي تطلقه الأحلام أو الأفكار أو العقائد مع الأوضاع التي يرسمها الواقع العربي بكل شروطه وتعقيداته، وتفاصيله، ومن هنا فهي تختلف عن الأيديولوجيا وإن كانت في كثير من الأحيان تنطلق منها، بل أحياناً من الفضاء الذي تلتقي فيه أكثر من أيديولوجيا، حتى ولو كانت متباعدة في منطلقاتها.

وبهذا المعنى يمكن أن يلتقي أمام رؤية محددة للنهوض في الأمة، اليساري مع القومي مع الإسلامي مع الليبرالي مع الإصلاحي على أمل أن يسعى كل منهم بعد أن - يتحقق التغيير المرحلي إلى أن يقود المجتمع باتجاه خياره الفكري والأيديولوجي.

كما أن المشروع النهضوي القومي العربي، هو مشروع تاريخي طويل الأمد، سعت الوثيقة - مشروع النهضة - نحو إدراج حاجته الدائمة إلى التجديد في ضوء المتغيرات الداخلية والخارجية، وإلى الانفتاح على كل تطوير تأتي به النظرية والممارسة، وبالتالي فهو مشروع أفكار أكثر منه مشروع بنود، مشروع توجهات عامة أكثر منه مشروع قرارات محددة.

وبهذا المعنى فالمشروع النهضوي القومي العربي، كمشروع أمة بأسرها مدعو إلى التوقف بشكل خاص أمام عدد من المحاور التي ربما تشكل الإطار الفكري لقدرة التنفيذ وهذه المحاور هي:

- ♦ إرادة النهوض
 - ♦ آليات النهوض.
 - ♦ شمولية النهوض.
 - ♦ النهوض كمقاومة.
 - ♦ مؤسسات النهوض.
 - ♦ شروط نجاح النهوض.
- ليصار بعد ذلك إلى اعتماد خطوات تنفيذية محددة:

١- إرادة النهوض:

تتأكد أهمية الإرادة كشرط ضروري للنهوض إذا تذكرنا أن الصراع الدائر في عالم اليوم ليس مجرد صراع قوى محكومة بموازينها فقط، بل هو أيضاً صراع إرادات أيضاً، إن بلورة إرادة النهوض في الأمة وتطويرها وتصلبها وتسليحها بمقومات اختراق الجمود القائم، تكاد تكون واحدة من المهمات الرئيسية من أجل تجسيد المشروع النهضوي القومي العربي، بما هو سعي لنقل الأمة من حال إلى حال تحتاج إلى أن تقترب بتحليل عميق لحال الأمة الراهنة، وبرؤية استراتيجية لمعالم صورتها المستقبلية، وعمق التحليل هنا يحتاج إلى نفاذ حقيقي في عمق الواقع واستكشاف مكوناته وعناصر القوة فيه. كما التعرف إلى سلبياته.

وهكذا فإن إرادة النهوض مدعوة للتخلص من ظاهرتين طبعنا الفكر العربي في العقود الأخيرة:

♦ الظاهرة الأولى:

هي الغرق في سلبيات الواقع الراهن إلى درجة التمتع بجلد الذات، وتعميم اليأس، وإغلاق المنافذ حتى باتت الثقافة مقرونة بالتشاؤم، وبيات المثقف الأهم هو الأقدار على الرؤية السوداوية للواقع.

♦ الظاهرة الثانية:

هي الوقوف على الطرف النقيض من

الظاهرة الأولى، لكنها مثلها نتاج مناهج متماثلة في التفكير، فهي ما يصطلح على تسمية بـ «الانتصار دائماً» التي تغالي في تمجيد بعض الإيجابيات إلى درجة لا تسمح لها بأن ترى ما يحيط بهذه الإيجابيات من سلبيات، وترفض أي دعوة لاستكمال ما تحقق بما يحمله أو يصونه أو يطوره.

وكثيراً ما نجد بعض النخب وهي تنتقل بين الظاهرتين، بكل بساطة، فينقلون مجتمعهم أو حزبهم من أمل كاذب إلى يأس غير مبرر.

٢- آليات النهوض:

تقوم آليات النهضة القومية على ثلاثية مترابطة: «التواصل - التراكم - التكامل» التي يمكن تسميتها بثلاثية النهوض والتي تعطي في حال توفرها زخماً لكل تطور أو تقدم، كما يقود غيابها إلى التشرذم والتآكل والضمور، فهي محصنة بالرؤى والتحليلات والقوى والوسائل القادرة على تجسيدها في الواقع.

ولو دققنا قليلاً في هذه الثلاثية لاكتشفنا ما تنطوي عليه من معان ودلالات:

♦ التواصل:

هو التربة التي يتحقق فيها الحوار، وتنمو فيها سعة الأفق، ويتعمق من خلالها النضج، وتسقط معها الحواجز المصطنعة والصراعات المفتعلة، وتبرز التصويبات بوجه تكرار الأخطاء والخطايا. إنه تواصل بين الأجيال كما بين الأفكار والعقائد، بين الأقطار كما الأحزاب، بحيث لا توضع خبرة بوجه أخرى، ولا قطر أو حزب في تناحر مع قطر آخر أو أحزاب مختلفة.

♦ التراكم:

هو هرم التقدم، يرتفع معه البناء لبنة لبنة، وتتداخل فيه التجارب تجرية وراء تجرية، فيه تتحرر التفاصيل من الشياطين التي تسكنها، ومعه يتحول الصبر من موقف انتظاري إلى فضيلة تنموية، وإذا كان التراكم هو تحقيق التواصل على المستوى العمودي وفي الأفق التاريخي، فإن التكامل هو آلية تحقيق التواصل على المستوى الأفقي.

♦ التكامل:

في ظل تكامل الأفكار والتيارات وتكامل الأقطار والأحزاب، وتكامل الأدوار والمهام تخرج نظريتنا التي تغنى بالممارسة، من مرض الأحادية الضئيلة، أحادية الفكر والتنظيم والفرز، وكلها عيوب لا تنحصر سلبياتها في نقص الرؤية، بل في حرمان المجتمع والأحزاب من طاقات كبرى لا تحملها هذه الأحادية بل في

منح الأعداء فرصاً نادرة في تسعير التناقضات الثابوية وتحويلها إلى حقائق مدمرة.

إن الإمساك بهذه الثلاثية يقودنا إلى حل الكثير من الإشكاليات القائمة فكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فلا تناقض في ظلها بين «القطري والقومي»، ولا بين «الدولة والمجتمع»، ولا بين «العروبة والإسلام»، ولا بين «العرب والأقوام الأخرى الموجودة في الوطن العربي»، لا بل إن الإمساك بها يبرز لنا أهمية الديموقراطية كطريق للنهوض، ويوضح لنا في الوقت عينه الطريق الحقيقي إلى الديموقراطية التي بات غيابها سمة ملازمة للنظام العربي الرسمي كما للمجتمع والأحزاب.

٣- شمولية النهوض:

إن نجاح أي مشروع نهضوي مرهون بقدرته على أن يحيط بكل قضايا الأمة وهمومها وتطلعاتها، فلا ينحصر بالسياسي من هذه القضايا أو بالاقتصادي، ولا يحاصر نفسه بأهداف ووسائل دون أهداف ووسائل أخرى.

فهذه الأمة، ناهيك عن إسهامها الحضاري، تتجلى في كل ميادين الحياة التي تتكامل في عطلتها وتتفاعل، كما أن النهوض ليس شأنًا خاصاً بالدولة وحدها، أو المجتمع فقط، بل هو نتاج تفاعل صحيح وصحي بينهما معاً، فلا دولة تصادر دور المجتمع باسم التخطيط والتوجيه، ولا مجتمع يلغي دور الدولة باسم الحرية والمبادرات، بل علاقة جدلية متوازنة تحميها الصيغ الدستورية والقوانين.

٤- النهوض كمقاومة:

لا نعتقد أن أي تحليل موضوعي لحال الأمة العربية وللمقومات نهوضها يستطيع أن يتجاهل دور القوى الخارجية المعادية في إعاقة أي محاولة نهضوية، وفي السعي لوادها، والأمثلة من تاريخنا المعاصر والحديث عديدة، وأخرها الاحتلال الأتكو - أمريكي للعراق المتلحف بأحداث ١١ أيلول ومكافحة «الإرهاب».

والحديث عن المعوقات الخارجية لا يهدف أبداً إلى التقليل من عناصر الخلل البنيوي الذي يعصف بواقع أحزابنا ومجتمعاتنا، كما لا يسعى على الإطلاق إلى الدعوة للانصراف عن معالجة هذا الخلل الداخلي بذريعة مقاومة التدخل الخارجي، لكن دور المعوق الخارجي يجب أن يبقى ماثلاً في الأذهان، وداعياً للتنبية والحذر واليقظة في مختلف المراحل، وبالتالي يجب أن يكون حافظاً لكي تقترب إرادة النهوض بإرادة المقاومة لكل احتلال ويشكل خاص في فلسطين والعراق.

الجريمة الإسرائيلية العنيفة

السور العازل أفعى تلتهم الأراضي الفلسطينية
وتحول عشرات الآلاف إلى سجناء

سمير الزين

من أجل إنجاز السلام الحقيقي في المنطقة، اعتبرت إسرائيل أن الحل أمامها بإقامة سور عازل يعزل إسرائيل عن الأراضي الفلسطينية. وفي دفاعها عنه اعتبرت إسرائيل أن السور هو مجرد سور أممي وليس سوراً سياسياً ولا يرسم حدوداً مع الفلسطينيين. وصادقت حكومة حزبي الليكود والعمل المشتركة السابقة على خطة طوارئ لإقامة سور عازل متواصل بطول ٣٦٤ كيلومتراً، بكلفة مليون دولار لكل كيلومتر الواحد، على أن يقام في قلب الضفة الغربية.

وقد شادر حزب العمل الحكومة الإسرائيلية، واليوم تقود حكومة يمينية إسرائيل، وهي التي تستمر في بناء السور العازل الذي انتهت المرحلة الأولى منه، وشرعت إسرائيل في بناء المرحلة الثانية.

في هذه المرحلة من بناء السور تبين بشكل أكثر وضوحاً أن وظيفة السور العازل تتجاوز الوظيفة الأمنية لترسم بالأمر الواقع ومن طرف واحد خريطة المنطقة وقيل الوصول إلى حل من أي نوع، بل وقيل الوصول إلى طاولة المفاوضات أصلاً. ولم يكن مقنعاً لأي كان أن إسرائيل توظف ما يقارب النصف مليار دولار من أجل حل مؤقت، حتى تحليفتها الرئيسية الولايات المتحدة التي تنتقد السور انتقادات حجولة وتعتبره معيقاً للحل، بل إن ما يرسم اليوم في قلب الضفة الغربية من خلال هذا السور الذي يشقها ويصادر أراضيها بلا رحمة، ما هو سوى جزءاً أساسياً من استراتيجية حكومة شارون. في قسم المزيد من الأراضي الفلسطينية من جانب، ومن جانب آخر تكريس أمر واقع على الأراضي الفلسطينية لا يمكن التراجع عنه مع أي عودة

جريمة عنيفة ترتكب منذ أكثر من عام في الأراضي الفلسطينية أمام أنظار العالم، وهي جريمة مستمرة اليوم، وتستمر إلى أشهر قادمة، جريمة من أبشع الجرائم العنصرية التي يشهدها القرن الحادي والعشرين، مصادرات عنصرية وقضم أراضٍ بالآلاف الكيلو مترات تقتطع من الأراضي الفلسطينية، حقوق شعب وحقوق أفراد فلسطينيين يتم الاستيلاء عليها من قبل أسوأ أنواع الاحتلال التي شهدتها البشرية. وتحت عناوين أمنية لا معنى لها، ولا تبرر سرقة الأراضي من قبل الاحتلال، تستولي إسرائيل عبر إقامة «السور العازل» على الأراضي والحقوق الفلسطينية، مستكملة الجريمة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، مضيضة آلام جديدة إلى الألام التي عرّفها الفلسطينيون المترابكة خلال العقود الستة الماضية.

في تعليقه على الانتفاضة الفلسطينية وما يجري في الأراضي الفلسطينية قبل



أكثر من عام، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي أريئيل شارون، إن ما يجري هو استكمال لحرب «الاستقلال»، وإذا كانت الجريمة الكبرى التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني هي تلك التي يسميها شارون حرب الاستقلال، والتي كلفت الفلسطينيين وطنهم الذي طردوا منه، فإن استكمال هذه الحرب، حسب مجرم الحرب شارون، يعني استكمال الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني. يتجسد هذا الاستكمال في السور العازل الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية، والذي يقتطع مئات آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية، ويعزل السكان عن أرضهم ويقسم عشرات القرى إلى شطرين... الخ، من الجرائم التي ترتكب بحق الفلسطينيين من جراء بناء هذا السور العازل.

تحت ذريعة الأمن والفشل الإسرائيلي في قمع الانتفاضة الفلسطينية، وعدم رغبة إسرائيل واستعدادها لتقديم التنازلات اللازمة

٦- شروط نجاح النهوض:

إن أول شرط من شروط النجاح هو المبدئية؛ بمعنى أن يعاد الاعتبار لسلطة المبدأ عند القادة السياسيين التي هي الوجه الآخر لاحترام قوانين ودساتير الدولة والحزب والمجتمع. الشرط الثاني هو الأخلاق؛ حيث لا تبرر الغاية الوسيلة، وحيث يجب أن يسود الصدق مع النفس ومع الآخر، فالصدق توأم الشجاعة ومنها تتبع كل الفضائل الأخرى، وإذا كان من مدلول سياسي لهذا الشرط بلغة هذه الأيام فهو مدلول الشفافية.

الشرط الثالث - هو تماهي الثقافي بالسياسي: الذي بات محاصراً بأرائه ورموزه، بدرجة عالية من السطحية والرتابة والاجترار، والتي لا يمكن الخروج منها إلا بنفحات ثقافية عميقة تفتح الأبواب لهواء التجديد والإبداع في الأفكار والوسائل، وفي الرؤى والآليات، فالقوانين الاجتماعية. كما التاريخية، أبرزت العلاقة الجدلية بين الحيوية السياسية والنهوض الثقافي، فالأولى تطلق عقال الثانية، والثانية تلهم الأولى وتغنيها.

لقد أصيب العمل السياسي العربي بالقصور والجمود، حين جفت مصادر الهامة الثقافية، تماماً مثلما بلبت الثقافة العربية بمحتنتها الراهنة حين أصبح العمل السياسي العربي سجين التكلس البيروقراطي، وأسير شهوة السلطة بأي ثمن، بل تحولت السياسة إلى فن قمع الآخر والغائه.

الشرط الرابع - هو ربط السياسة بالعلم؛ ويكل العلوم الاجتماعية الأخرى من اقتصاد واجتماع وتاريخ وفلسفة وعلم نفس وتربية ومعلوماتية وغيرها، بل أن يغتنى أيضاً بالعلوم الطبيعية ذاتها، وذلك نظراً للأثر البالغ الذي يتركه تطور العلوم والاختراعات البشرية على تطور المجتمع نفسه، وبالتالي على تطور علم السياسة الذي هو في النهاية علم قيادة المجتمع وإدارته، فأى قيمة فعلية لحركة سياسية لا تبني نفسها أو تستند في عملها على مراكز أبحاث علمية ودراسات استراتيجية، تماماً كما تبني خلاياها وتصدر النشرات والصحف ووسائل الإعلام.

هذا تكثيف لأفكار ورقة «مشروع النهضة - ورقة للحوار» نضعها بين يدي القارئ، مع التأكيد على أن النهوض، من أي المداخل أردناه، يبدأ بالإنسان. فإرادة الإنسانية هي الأقوى من كل الأدوات والوسائل والقيود، لأنها الأقدر على التحكم بها، وعلى التعامل معها بذكاء ووعي يقيان مع الديمقراطية والشفافية ركائز أي

والنهوض المنشودة هي من الاتساع والعمق بحيث تحتاج إلى انخراط كل قوى المجتمع ومؤسساته ومبادرات أبنائه فيه.

إنه باختصار ريبط جدلي وخلق لعملية النهوض الشاملة، التي هي تعبير عن حاجة تاريخية تعم المجتمع بأسره، بكل المبادرات الصغيرة التي تعبر عن حاجة محددة في محيط محدد وفي مجال بعينه.

إن الحديث عن دور المؤسسات في عملية النهوض يقود فوراً إلى الحديث عن المجتمع المدني أو الأهلي ودوره، وإذا كان المجال لا يتسع هنا للحديث عن هذا المجتمع بمفاهيمه النظرية وتطور آلياته إلا أنه ينبغي التمييز بين المؤسسات الأهلية نفسها، فإذا كان العديد منها قد تشكل نتيجة مبادرات ناجمة عن تلمس الحاجة العميقة لها في مجتمعاتها، فإن البعض الآخر قد تم تشكيله أو الاستيلاء عليه، لاستيعاب حركة المجتمع المدني ومنعها من الوصول إلى أهدافها الطبيعية في التغيير والنهوض، أي نشأ وتكون في رحم حاجة قوى الواقع الراهن إلى حماية نفسها ومصالحها.

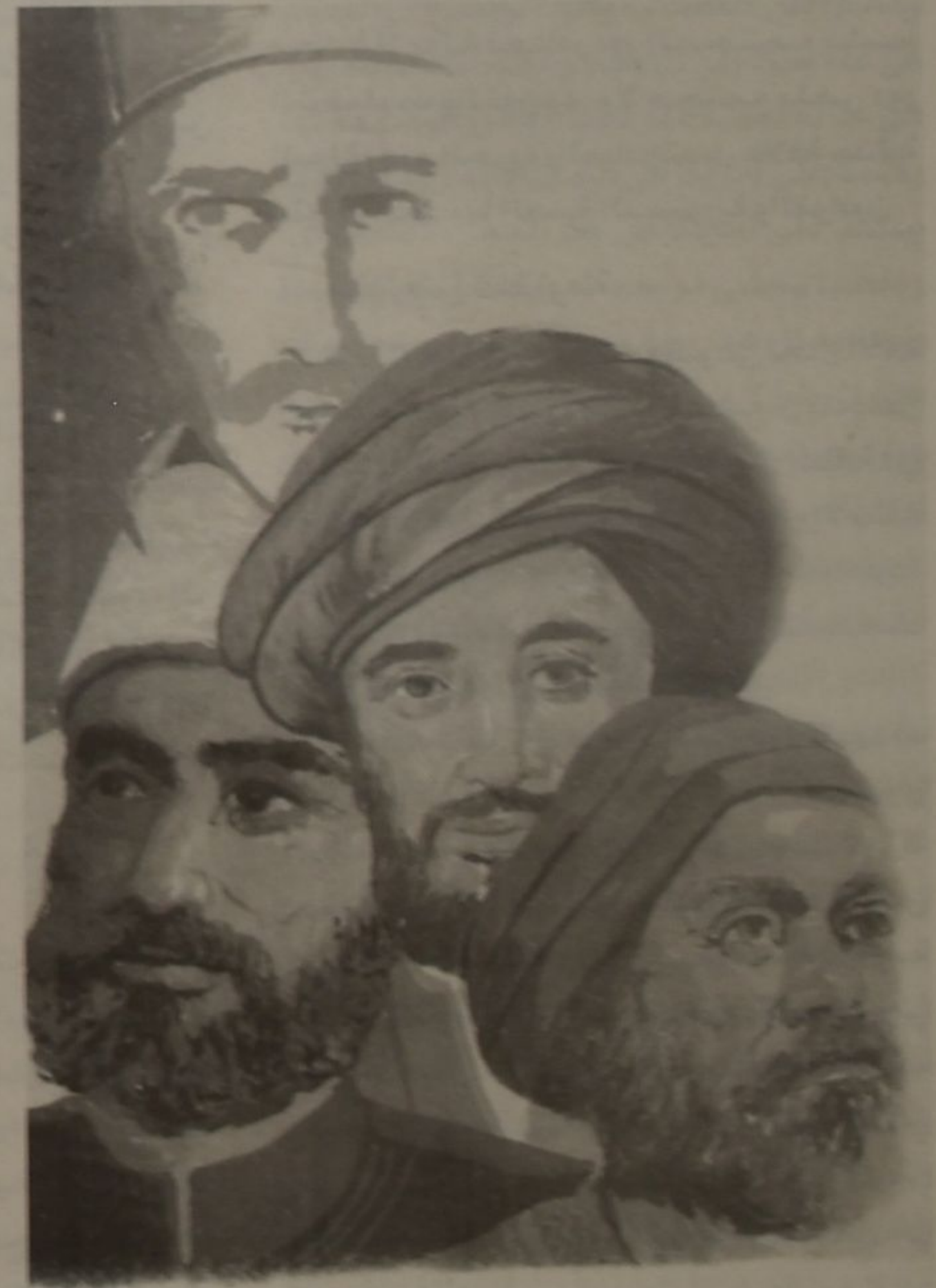
لكن ما يوازي بناء المؤسسات في أهميته، هو أن يسود العقل المؤسسي، والممارسة المؤسسية، كل مؤسساتنا القائمة سواء في السلطة أم في المجتمع حيث بتنا نلاحظ مع الأسف تماثلاً وتطابقاً في السلوك والممارسة بين المؤسسات الرسمية والأهلية على حد سواء.

فالفردية هنا وهناك، وغياب الشفافية هنا وهناك، وعدم تداول السلطة موجود هنا وهناك، وإقصاء الرأي الآخر يسود بالممارسة هنا وهناك، ففكرة العمل المؤسسي المترابك تجمع بين تقاليد الديمقراطية وقواعد التنمية في أن معاً. وتحقيق التواصل بين تجارب الماضي وهموم الحاضر وتطلعات المستقبل، وتنمي التفاعل بين مبادرة الفرد وقوة الجماعة، وتحقق الانتقال من النمو الكمي المتدرج إلى الطفرة النوعية المطلوبة، وتحقيق التوافق بين روح الإبداع وسلامة

إن غياب المضمون المقاوم لأي مشروع نهضوي لا يجعله هشاً قابلاً للانكسار أو التهميش أو حتى التزييف فحسب، بل يحرم هذا المشروع أيضاً من أجواء تعبوية مهمة تطلقها في الأمة حركة المقاومة، وتنجح من خلالها بتجاوز عقبات عديدة ومعوقات متنوعة تدوب معظمها في لهيب المقاومة المشتعلة في مواجهة الحركة الصهيونية الكولونيالية والعلوية المتأمركة المتوحشة.

٥- مؤسسات النهوض:

إن استخدام تعبير المؤسسات هنا يقصد به عدم الاكتفاء بالأحزاب والقوى السياسية التي يقفز إلى الذهن اسمها كلما جرى الحديث عن عملية التغيير في المجتمعات، وعدم الاكتفاء بكلمة الأحزاب والقوى السياسية هنا، ليس ناجماً من واقع الأزمة العميقة التي تعيشها معظم الأحزاب في مجتمعنا، ولا سيما الأحزاب التوتاليتارية - الشمولية بشكل خاص، ولا من كون بعض الأحزاب القائمة لا يتعدى كونه إطاراً للتعبير عن عصبوية تقليدية فرضتها ظروف معينة، ولا من كون بعض هذه الأحزاب كان مسؤولاً عن الواقع المتردي الذي نعيشه، بل إن عدم الاكتفاء هنا مرده إن عملية التغيير



لطاولة المفاوضات، هذا إذا تمت هذه العودة. وبذلك تكون الحكومة اليمينية، قد حققت إنجازات على الأرض في ظل ادعاءاتها باتخاذ إجراءات لمحاربة ما تسميه «الإرهاب الفلسطيني» الذي توظفه كذريعة لرفض الأمر الواقع وتكريس رؤيتها لمستقبل الأراضي الفلسطينية، بدل أن تدفع ثمن احتلالها للأراضي الفلسطينية. ويحكم الطبيعة الاستيلائية لسور العازل ووظيفته العنصرية، فإن الادانات له جاءت من كل حذب وصوب، حتى من الإدارة الأميركية المدافعة عن إسرائيل وعن سياساتها وجرائمها، لم تستطع أن تدافع عن هذا السور العنصري، والذي يشكل جريمة وفقاً العين لكل من يريد أن يرى حتى بنصف عين إلى الواقع القاتم اليوم في الأراضي الفلسطينية.

كما بات من الواضح أن أريئيل شارون، الرجل الذي ساد الاعتقاد أنه يدير الأزمة الإسرائيلية على قاعدة الخروج بأقل الخسائر من جراء الانتفاضة الفلسطينية. هو ذاته الرجل الذي يدير سياسة إسرائيلية تسعى في ظل الفوضى التي يشهدها العالم والمنطقة والوضع في الأراضي الفلسطينية، وعلى خلفية الدم السائل في الأراضي الفلسطينية منذ ثلاث سنوات، إلى تعزيز المشروع الصهيوني من خلال قضم مزيد من الأراضي عبر السور العازل، وضم الأغلبية الساحقة من المستوطنات داخل هذا السور وتكريسه بوصفه حدوداً آمنة لا يمكن لإسرائيل التراجع إلى ما وراءها. ويعتقد أن ذوي القنائف الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية ستغطي على هذه السياسة العنصرية.

تحاول إسرائيل عدم المواجهة مع الولايات المتحدة في هذه الظروف، وبشأن السور العازل بالذات، خاصة بعد الانتقادات الأميركية والتي كان أوضاعها تصريحات وزير الخارجية الأميركي كولن باول لصحيفة «واشنطن بوست»، حول موضوع بناء السور العازل، الذي قال: «إن مسار السور الذي أقرته الحكومة الإسرائيلية يحدد مسار الحدود المستقبلية بين إسرائيل والدولة



الفلسطينية، والتصريحات الإسرائيلية تؤكد أنه لن يتم وقف بناء السور العازل، رغم كل الانتقادات والاحتجاجات التي يواجهها بناء هذا السور سواء من الفلسطينيين أو من الدول الغربية، مكررة بشكل دائم الحجة إياها من أن الوظيفة الوحيدة للسور العازل هي الوظيفة الأمنية، وليس له وظيفة سياسية، وهذا لا يقنع أحد حتى باول كما يدل عليه تصريحه المذكور سابقاً.

رغم هذه التصريحات الأميركية

والدولية التي تنتقد وتدين السور العازل، صادقت الحكومة الإسرائيلية قبل أسابيع وبأكثريه كبيرة على خطوط السور العازل ذاتها في المرحلة الثانية من بنائه، وهذه الخطوط التي تمت المصادقة عليها تشمل في داخلها مستوطنات أريئيل، كرني شومرون، وكيدوميم. بموجب القرار ستكون المستوطنات الثلاث في المستقبل داخل السور العازل بواسطة أصابع ستمتد إليها من الخط الأصلي على أن تترك ثغرات داخل السور الآن حول هذه المستوطنات تستكمل لاحقاً. وتقرر في المرحلة الأولى سيبقى فقط ثلاث «حدوات مختلفة الأشكال» مسيجة ووسط حواجز حول المستوطنات الثلاث، وهي ستوصل بسياج الفصل في موعد لاحق. وهذا القرار يبق 60 ألف فلسطيني مسجونين في الجيوب التي سيخلقها السور العازل وراه بعد استكمال بناء المرحلة الثانية.

إبقاء الثغرات في السور يقوم على تقدير إسرائيلي بأن الولايات المتحدة ستخفف اهتمامها بالصراع القائم في الأراضي الفلسطينية مع اقتراب موعد الانتخابات الأميركية التي بدأت تقترب سريعاً، في ظل إرباك إدارة بوش بما يجري في العراق، ما يربك حملته الانتخابية منذ اليوم، وهو بذلك لا يحتاج إلى مشكلة أخرى مع اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة. وقد تحدث الصحفي الإسرائيلي بن كيسي في صحيفة معاريف عن هذا التقدير، هو التقدير القائم في إسرائيل عندما كتب يقول: (تميل الولايات المتحدة إلى تقليص تدخلها في ما يحدث في النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين والانتقال من وضع محاولة التوصل إلى «حل نزاع» إلى وضع وسطي لـ «إدارة نزاع» فقط. هذا هو التقدير المتبلور في الأسابيع الأخيرة في القدس). وقد قال



«الأصابع، المتدرج، يستهدف منع مجابهة مع الأميركيين والإضرار بأموال الضمانات. بموازاة بناء الحدوات، سيبدأ عمل محمود لبناء بقية السور على طول الخط الذي تم التصديق عليه».

وحسب بن كيسييف أيضاً، ينبع قرار رئيس الحكومة شارون بتأجيل المجابهة المتوقعة مع الأميركيين حول مسألة السور العازل (خصوصاً في أريئيل)، من بين أمور أخرى، عن التقدير أنه بعد نصف سنة لن يهتم الأميركيون بهذه المسألة أبداً. الجمهوريون لن يجازفوا بمجابهة مع اللوبي اليهودي عشية الانتخابات، والتي تكون وقتها قد بلغت أوجها في الصراع للوصول إلى البيت الأبيض بين المتنافسين على الرئاسة الأميركية.

ما تقوم به حكومة شارون هو استكمال للجريمة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، وهي تنتظر دخول الإدارة الأميركية دوامة الانتخابات الأميركية لتعزيز الوقائع على الأرض، وهي الفترة الأنسب لإغلاق الثغرات التي أبقاها في السور العازل، وفي دوامة الانتخابات الأميركية، تكون الجريمة في أوجها طالما لم يوقف السور الآن. وهو ما يعني أن الحكومة اليمينية في إسرائيل تسعى من خلال سياستها إلى إيقاع كارثة جديدة في الشعب الفلسطيني، والنصر عليه من خلال الكوارث التي يمكن إيقاعها بكل الأساليب، طالما أن رئيس الحكومة يعتبر أن ما يجري في الأراضي الفلسطينية هو «استكمال لمعركة الاستقلال لإسرائيل»، وهو ما يعني جرائم جديدة بحق الشعب الفلسطيني، فالدولة التي بنت «استقلالها» على آلام ودماء وحقوق الشعب الفلسطيني، فهي تستكمل «استقلالها» عبر جرائم جديدة ودماء فلسطينية تنزف من جديد جراء الجرائم الصهيونية المستمرة بحق الشعب الفلسطيني منذ أكثر

عودة الدور الروسي إلى شرق المتوسط من البوابة الفلسطينية...!

محمد صوان

الواقع الفلسطيني والعربي. كما أن ذلك مؤشر إلى أنه متمرّد حتى على الحليضة العشوائية له، ومع ذلك فإن هذه الإدارة -راضية أو صامته - ستطلب من الكونغرس منح إسرائيل معونة عسكرية قيمتها ٢.٢٥ مليار دولار في السنة المالية ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ بزيادة ١٠٠ مليون دولار عن سنة ٢٠٠٣، وهي منحة تثير الدهشة، لأن إسرائيل معتدية وليست معتدى عليها من أحد. ولهذا فمن غرائب أمور هذا الزمن الصهيوا أمريكي، أن المعتدي الإسرائيلي يحظى بـ «الكرم البوشي» بينما المعتدى عليهم وهم فلسطين وسورية وإيران يمتطهم بوش وإدارته بالتهديدات والاستفزازات والافتراءات وآخرها «قانون المحاسبة» الذي يتم إنعاشه على الدوام من جانب الكونغرس، بدل أن يكون دور هذه المؤسسة التشريعية هو ترشيح «الموقف الشاروني - البوشي» ما دام الدعم والاسناد الأمريكي يتدفق على إسرائيل كما لم يحدث مع أي دولة أخرى حليفة للولايات المتحدة الأميركية.

على الرغم من تذبذب الموقف الروسي بين الحين والآخر ومسايرة تل أبيب من أجل استرضاء واشنطن في موضوع العلاقة النووية الروسية - الإيرانية، فإننا من باب الافتراض نرى أن عودة محتملة لروسيا عن سعيها لتدويل خريطة الطريق سيطال مكانتها في المحيط العربي والإسلامي، وسيجعل شوكتها كثيرة اللين في المحيط الدولي. ومن هنا فإن احتمال التراجع عن ذلك المسعى ضئيل ليس من أجل الشعب الفلسطيني، وإنما من أجل روسيا - بوتين التي تشير التطورات إلى أنها تريد استعادة بعضاً من المجد السوفياتي الغابر، وإنها تسلك في هذا السبيل طريق الدخول عبر البوابة الفلسطينية إلى الشرق الأوسط، وما رغبة الرئيس بوتين في انضمام بلاده إلى «منظمة المؤتمر الإسلامي» كعضو مراقب في القمة الإسلامية العاشرة في ماليزيا، سوى خطوة تمهيدية في الاتجاه الذي تشير إليه، إضافة إلى زيارته المرتقبة إلى

إلى «أرض الميعاد». على الرغم أن عدداً من رموز الحركة الصهيونية في روسيا يتحكمون اليوم بالعتلات الاقتصادية والإعلامية ويؤثرون في صنع القرارات السياسية بدرجة لا تقل عن تأثير سطوة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية.

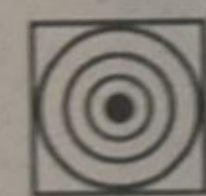
لقد حاولت موسكو ويعقل مفتوح على الجميع وضع نهاية لحالة التذبذب الأمريكي - الإسرائيلي في التعامل مع صيغة «الحل السلمي» التي ارتضاها الجانب الفلسطيني والعربي على رغم الاجحاف الذي تتسم به، لكن شارون أبدى كثير الانزعاج والحنق لما تنوي فعله روسيا، ويشاركه هذا الانزعاج وغلاة التصهين في الإدارة الأميركية. وفي حماة هذا الانزعاج والحنق توجه شارون إلى موسكو لممارسة الضغط على القيادة الروسية الحالية كي تصرف النظر عما تسعى دبلوماسيتها إلى تحقيقه، وهو تحويل خريطة الطريق إلى امر واقع دولي بحيث تصبح مثل القرار ٢٤٢ أو القرار ٣٣٨ أو القرار ٤٢٥، أي أنها ملزمة، ولا مناص لأي دولة عضو في الأمم المتحدة سوى القبول بها، والدعم لها. وهذا التدويل له «فضيلة» أخرى هي أن خريطة الطريق، وعلى رغم كونها أميركية المنشأ يمكن أن تكون خطة الجميع، وبما يعني أن لا يعود هنالك تقرد من جانب دولة واحدة هي الولايات المتحدة، تسعى إلى الحل الجزئي للصراع العربي - الإسرائيلي، ونقصد بهذا الحل تسوية سياسية فلسطينية - إسرائيلية يصبح الانطلاق منها للبحث الأوسع في تسوية.. الصراع العربي - الإسرائيلي أمراً على درجة من البسر.

من هنا، فإنه عندما يستعجل شارون السفر إلى موسكو ويكون الغرض من الزيارة ليس فقط فك العزلة الدولية عنه - هي عزلة أقيس من حصاره للشرعية الفلسطينية ممثلة بالرئيس عرفات - وإنما لضرب المسعى الروسي، فهذا مؤشر جديد إلى أن شارون هو ضد أي تسوية وأنه يقاتل من أجل عدم فتح أي نافذة صغيرة يتسلل منها الضوء إلى عتمة

في زيارته الثالثة إلى موسكو، خلال فترة ترؤسه حكومة أقصى اليمين، سعى شارون لثني موسكو عن طرح مشروع القرار الذي تريده، ملزماً لواشنطن ولطرفي الصراع العربي - الإسرائيلي على مجلس الأمن الدولي، والمتضمن اعتماد خريطة الطريق كمرجع قانوني.. لجميع الأطراف على حد سواء.. في نفس الوقت واصل «السفاح» الضغط على الكرملين لوقف التعاون النووي مع طهران، وأعلن أفغندرو لبيرمان أشد أعضاء الحكومة الليكودية تطرفاً وعداوة للعرب الذي اصطحبه شارون معه: «على روسيا أن تعامل طهران باعتبارها دولة راعية للإرهاب وأن تحذو حذو الولايات المتحدة في فرض العقوبات على إيران ومنعها من امتلاك السلاح النووي».

هذا وفتح شارون مجدداً ملف التعاون العسكري بين دمشق وموسكو، الذي لاحت بوادر استئنافه بعد زيارة نائب الرئيس السوري عبد الحلیم خدام إلى موسكو في ربيع العام الحالي. وكانت إسرائيل قد نجحت في تجميد صفقة صواريخ أرض - جو من طراز «إيغلا» لسورية بنزيرة: «أن دمشق تسعى لنقلها إلى حزب الله اللبناني، والمقاومة الوطنية العراقية». كما ذكرت الصحف الصادرة في روسيا التي يمولها بارونات الإعلام الصهيوني.

تأتي الحملة الدعائية للصحافة الصهيونية في روسيا بالتساوق مع الضغط السياسي الأمريكي على دمشق. ويرى عدد من الخبراء الروس المهتمين بشؤون الشرق الأوسط أن الجانب الدعائي وحملة التشويه والدمس على سورية وإيران، مثلت ركناً أساسياً من مباحثات شارون في موسكو، التي ختمها ببقاء صاحب مع رؤساء المنظمات اليهودية والصهيونية داعياً لمن بقي من «اليهود» في روسيا للهجرة



المملكة العربية السعودية، التي ربما تؤسس لعلاقة تقي المنطقة شرور مفاجآت أمريكية... اسرائيلية ناشئة عن التخبط البوشي الشاروني في التعامل مع قضايا المنطقة، وهو تخبط لم تجد فيه نضائح أصدقاء الولايات المتحدة أي نفع، بدليل ما يحدث يومياً على أرض فلسطين والعراق، وما يستتبعه من تصريحات لمسؤولين أمريكيين تثير القلق... ولا تبشر على الإطلاق بالخير..! مهما يكن، فإن مباحثات شارون في موسكو جاءت في مرحلة تشهد فيها العلاقات الروسية - الأمريكية جفاء ملموساً على خلفية انتقادات واشنطن لاعتقال الملياردير



الصهيوني ميخائيل خودرو كوفسكي، مدير الشركة النفطية الروسية العملاقة «يوكوس»، بتهم الاختلاس والاستيلاء غير المشروع على الأموال والممتلكات والتهرب من دفع الضرائب وهي انتقادات اعتبرها المتحدث باسم الخارجية الروسية «تدخلًا فظاً وغير مقبول في شؤون القضاء الروسي»، هذا، وندد المتحدث بما وصفه سياسة «المعايير المزدوجة»، التي اعتادت واشنطن على ممارستها إزاء العديد من القضايا. كما استبعد المتحدث أن تدعن موسكو «للضغوط الأمريكية والإسرائيلية، أو تستجيب لمطالبهما تماماً».

ويسود الانطباع في أوساط المحللين والمهتمين الروس أن موسكو تدرك حقيقة المآزق الذي تعيشه كل من واشنطن وتل أبيب، فتسعى عبر تحريكها الدبلوماسي أن تنتزع أكبر قدر من التأييد لتسوية الوضع المتفجر في فلسطين والعراق، سعياً وراء تنشيط الحضور الروسي في الشرق الأوسط، ومن هذا المنطلق يأمل الجميع أن يرفض الرئيس بوتين هذا التدخل الإسرائيلي والأمريكي ضد مشروع القرار الذي سيحمله المندوب الروسي إلى مجلس الأمن قريباً ويعمل بدلاً من ذلك على اقتناع بوش وشارون بقبول مشروع السلام العادل والشامل شكلاً ومضموناً.

خلاصة القول :

تركت زيارة شارون إلى موسكو، الكثير من علامات الاستفهام حول مضمون النتائج، لا سيما وأن موسكو تسعى بكل ما لديها من ثقل للعب دور ريادي في مواجهة الأحادية الأمريكية،

مفهومه، ولم يتأثر بأي جديد، أثر زيارة شارون إلى موسكو، لا بل، إن المساعي الروسية جارية على قدم وساق من أجل عودة المفاوضات السلمية إلى المنطقة، على أن يطرح ملف اللاجئين في مفاوضات منفصلة، وفي تعليقه على زيارة شارون إلى موسكو قال وزير الخارجية الروسي ايفانوف: «إن موسكو والاتحاد الأوروبي اللذان يواجهان أشد العراقيل صعوبة في مواجهة التفرد الأمريكي، بحاجة إلى التنسيق والعمل المشترك من أجل التوصل إلى حلول واقعية لمشاكل الشرق الأوسط، بعدما تعرضت الإدارة الأمريكية إلى كثير من الخيبات، أدت إلى فقدان الثقة الدولية بسياساتها الخارجية».

من هنا يمكن وضع الحركة الدبلوماسية الروسية وجهودها باتجاه المنطقة ضمن العناوين التالية:

أولاً:

إن العامل الأساسي لتلك الاندفاعه الدبلوماسية الروسية سيتمحور حول الوضع الإقليمي وما يترتب عليه من مخاوف جمعة، خصوصاً ضمن هذا المثلث الفلسطيني - السوري - اللبناني المرتبط بحالة صراع تاريخي مع إسرائيل، مما يستدعي بذل جهود دولية حثيثة لبقاء الأوضاع مسيطراً عليها، وحض جميع الأطراف على الحفاظ على ضبط النفس.

ثانياً:

تتركز الجهود الروسية كذلك نحو القضية العراقية، وضرورة إعطاء دور لأبناء العراق في حل مشاكلهم بأيديهم، واستعادة سيادة وطنهم واستقلاله، وتمكين الأمم المتحدة من القيام بدورها المحوري في هذا السياق لكونها تشكل حالة قبول من جميع الأطراف العراقية والعربية وحتى الدولية.

ثالثاً:

تتركز الحركة الدبلوماسية الروسية الجديدة على الوضع الفلسطيني من كافة جوانبه خصوصاً خريطة الطريق وإعادة تنشيط عملية الاتصالات والمشاورات بشأنها، ومن المستجدات التي فرضت نفسها على الأجندة الدبلوماسية الروسية أيضاً التهديدات الأمريكية والإسرائيلية لسورية وإيران، خصوصاً بعد العدوان الإسرائيلي الغاشم، وبدعم أمريكي على مخيم «عين الصاحب المهجور».

وأن بوتين يضع ثقله الدبلوماسي لمساندة الاتحاد الأوروبي في مشروع إعادة الاعتبار لخريطة الطريق وعودة الروح إلى رباعية مدريد الدولية، لأن هذا من وجهة نظره: «هو الحل الوحيد للوقوف في وجه التفرد الأمريكي وعطرسته». لقد بدأت الدبلوماسية الروسية بصياغة سلسلة ملاحظات حول الأوضاع في الشرق الأوسط عامة، وفلسطين خاصة، على أن يصار إلى تضمين هذه الملاحظات لمشروع خريطة الطريق الجديد، وبما يساهم في قبول جميع الأطراف عند إدراج هذا المشروع كقرار صادر عن الأمم المتحدة، لهذا فإن روسيا التي سمعت من شارون هواجسه وملاحظاته، ستسعى إلى عرضها على الاتحاد الأوروبي.

لكن في الوقت عينه، فإن أي تعديل على خطة خريطة الطريق ربما لن يشهد النور، لأن الاتحاد الأوروبي الذي لعب دور العراب في صياغة بنود «الخريطة»، لن يقبل بأي تعديل قد يؤدي إلى نسف الخطة من أساسها.

أما ما يقال عن مشاريع لتوسيع الفلسطينيين في الدول العربية، فإن روسيا التي دعمت قرارات الأمم المتحدة والجامعة العربية التي دعت إلى التمسك بحق العودة، لن تتراجع اليوم عن دعمها لهذه القرارات، كما أنها لن تتراجع عن ما ورد في خريطة الطريق بهذا الخصوص، والكل يعلم أن الخريطة لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد لملف التوسيع، بل تركته معلقاً إلى مفاوضات لاحقة تكون نتيجة لتطبيق بنود الخريطة.

من هنا، فإن الموقف الروسي لن يتبدل في

صنع الله إبراهيم يرسه معايير جديدة للنزاهة

لماذا أثار رفض صنع الله إبراهيم لجائزة الرواية العربية، كل هذا اللغط الهائل من ردود الأفعال المتناقضة في صفوف المثقفين المصريين والعرب؟! لماذا صفق له البعض بحرارة بالغته بما في ذلك بعض أعضاء لجنة التحكيم، واعتبر البعض موقفه مجرد تمثيلية رخيصة، و عرضاً مسرحياً هزلياً؟! لماذا شعر البعض بالصدمة.. ولماذا اشتعل البعض توهجاً على اعتبار أن موقف صنع الله أعاد للثقافة المصرية اعتبارها؟!

نسال هذه الأسئلة، لأننا إذا دققنا في الأسماء سواء التي انتصرت لموقف صنع الله، أو التي أعلنت سخطها عليه، وجدنا أنها أسماء لامعة في الثقافة العربية، ومن الصعب الفرز بينها على أساس فكري أو سياسي، وكذلك من الصعب التشكيك - بالجملة - بنزاهتها، فعلى الأقل، لجنة التحكيم كما نعلم مكونة من أسماء كبيرة على رأسها الطيب صالح، ويشارك فيها محمود أمين العالم، وعبد الله الغذامي، وفريال غزول وفيصل دراج ومحمد براءة.

حقيقة استطلاع صنع الله إبراهيم بضربة واحدة، خلعت الأوراق وإعادة فرزها، ليس لأنه رفض الجائزة فحسب، بل للطريقة التي أخرج بها موقفه، والتوقيت الذي اختاره لإعلان رفضه للجائزة.

لقد مارس صنع الله بامتياز مكر الروائي البارء.. وتكتيك السياسي المراوغ في اختيار اللحظة المناسبة، كي يفاجم الجميع، فيخلع قفاز، ويرمي به في وجود مانحي الجائزة المؤسسة الرسمية، دون أن يفوته التنويه إلى أنه يرفض الجائزة من الحكومة المصرية التي لا تملك في نظره مصداقية منحها، لا من لجنة التحكيم التي يجبل ويحترم.

لو أن صنع الله رفض الجائزة في اللحظة التي أبلغ بها النبأ، أي قبل أيام من الإعلان الرسمي عنها، لربما مر الحدث دون أية أصدا، لأنه سيتيح بذلك الفرصة أمام أصحاب المؤسسة الرسمية لإعادة النظر وتدارك الموقف، ولكنه أثار الصمت، وأعطى نفسه وقتاً للتفكير، وهنا مارس مكر الروائي، ومراوغة السياسي، حتى يفجر قنبيلته التي تتألت أصداؤها..

ولو أنه تبرع بها - كما طالب البعض - للشعب العراقي أو الفلسطيني، لبدا موقفه وسطياً توفيقياً رخواً، لأنه بذلك يكون قد تصرف بها، أي قبلها ضمناً.

أراد صنع الله أن يتسق مع نفسه وإبداعه، فلا يقبل رشوة من جهة يهاجمها، وله كامل الحق بذلك، إلا أنه بالطريقة التي أعلن بها موقفه وهذا هو الأهم، صفع المواقف المزدوجة المائعة لبعض المثقفين المصريين والعرب، الذين ينظرون لحرية الفكر وحقوق الإنسان والديمقراطية والتنوير والاستقلال وهم في الآن ذاته يعيشون على موائد السلطان، ويضربون بسيفه.

لقد فضح صنع الله ازدواجية هؤلاء، وعراهم وأسقط عنهم ورقة التوت، ويات مطلوباً من المثقفين العرب من الآن فصاعداً، الاحتكام إلى معايير جديدة للنزاهة قوامها البسيط: الوضوح والشفافية والصراحة مع الذات أولاً.



ثقافة وفنون

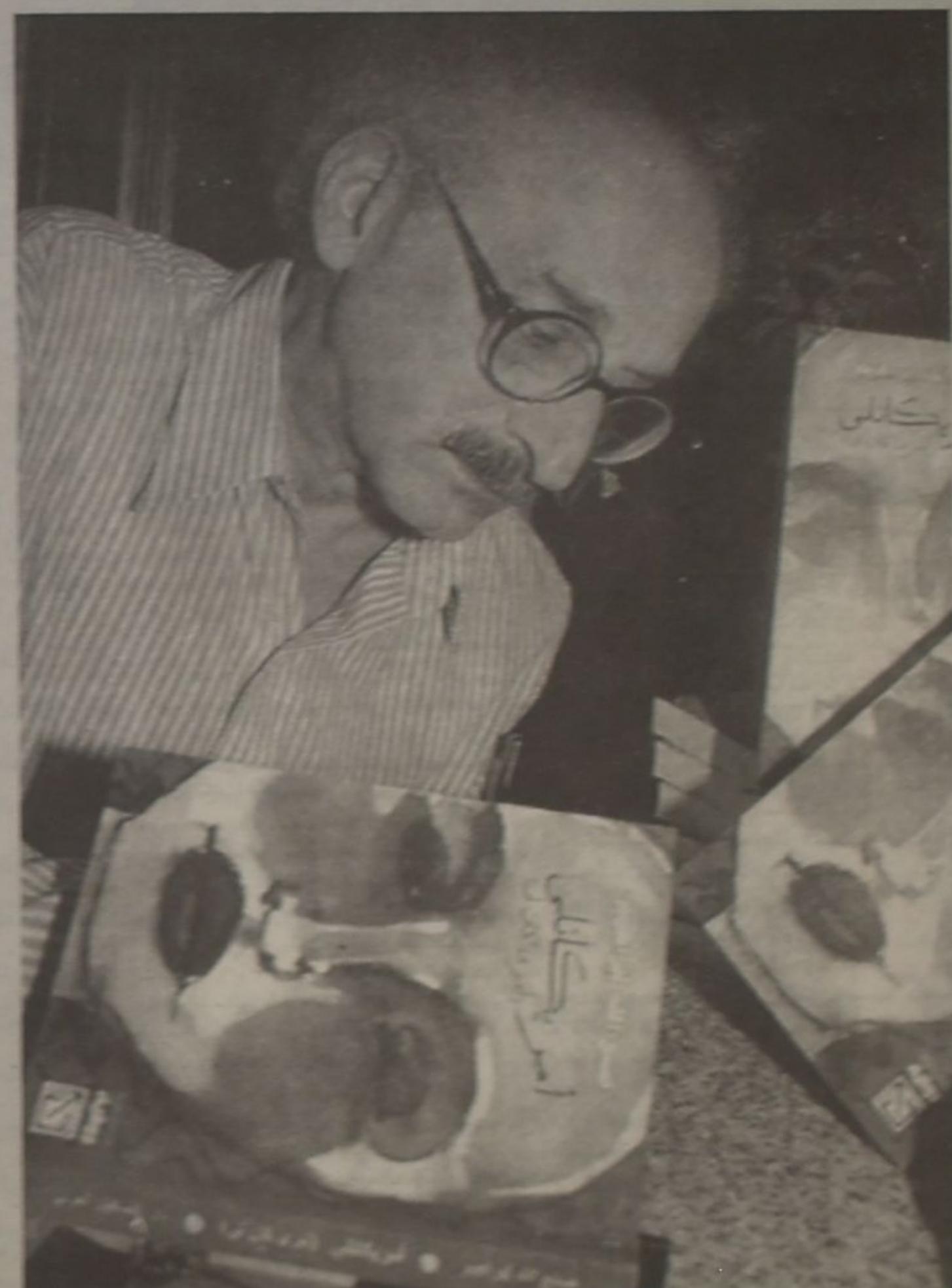
النصر الكامل لكلمة صنع الله إبراهيم

في ضام مؤتمر الرواية العربية

«لمست قادراً على مجازاة الدكتور جابر عصفور في قدرته على الارتجال، ولهذا فقد سطرت بسرعة كلمة قصيرة أعبّر بها عن مشاعري.

وصدقوني إذا قلت إنني لم أتوقع أبداً هذا التكريم كما أنني لم أضع يوماً للحصول عليه. فهناك من هم أجدر مني به: بعضهم لم يعد بيننا مثل غالب هلسا الأردني وعبد الحكيم قاسم المصري ومطيع دماج اليميني وعبد العزيز مشري السعودي وهاني الراهب السوري... والبعض الآخر ما زال يمتعنا بإبداعه مثل الطاهر وطار وإوارد الخراط وإبراهيم الكوني ومحمد البساطي وسحر خليضة وبهاء طاهر ورضوى عاشور وحنّا مينه وجمال الغيطاني وأهداف سويف وإلياس خوري وإبراهيم أصلان وجميل عطية وخيري شلبي وفؤاد التكرلي وخيري الذهبي وغيرهم.

لقد جرى اختياري من قبل أساتذة أجلاء ورواد للإبداع يمثلون الأمة التي أصبح حاضرها ومستقبلها في مهب الريح، وعلى رأسهم أستاذي محمود أمين العالم الذي زاملته في السجن وتعلمت على يديه وأيدي رفاقه قيم الوطنية الحقّة والعدالة والتقدم. وهذا الاختيار يشيّد أن العمل الجاد المتأبّر يجد التقدير المناسب دون ما حاجة إلى علاقات عامة أو تنازلات مبدئية أو مهادنة للمؤسسة الرسمية التي حرصت دائماً على الابتعاد عنها. على أن لهذا الاختيار قيمة أخرى هامة. فهو يمثل تقويماً لنهج في الإبداع اشتبك دائماً مع الهموم الأنية للضد والوطن والأمة. إنه قدر الكاتب العربي، ليس يوسع أن يتجاهل ما يجري من حوله، وأن يقض الطرف عن المهانة التي تتعرض لها من المحيط للخليج، عن القهر والفساد، عن العريضة الإسرائيلية والاحتلال الأمريكي، والتواطؤ الممزي للمنظمة والحكومات العربية في كل ما يحدث.



في هذه اللحظة التي نجتمع فيها هنا تحتاح القوات الإسرائيلية ما تبقى من الأراضي الفلسطينية وتقتل النساء الحوامل والأطفال وتشرّد الألاف وتنفذ بدقة ومنهجية واضحة خطة لإبادة الشعب الفلسطيني وتهجيرهم من أرضه. لكن العواصم العربية تستقبل زعماء إسرائيل بالأحضان، فعلى بعد خطوات من هنا يقيم السفير الإسرائيلي في طمانينة، وعلى بعد خطوات أخرى يحتل السفير الأمريكي حياً بأكمله بينما ينتشر جنوده في كل ركن من أركان الوطن الذي كان عربياً.

ولا يراودني شك في أن كل مصري هنا يدرك حجم الكارثة المحيقة بوطننا، وهي لا تقتصر على التهديد العسكري الإسرائيلي الفعلي لحدودنا الشرقية ولا على الإملاءات الأمريكية وعلى

العجز الذي يتبدى في سياسة حكومتنا الخارجية إنما تمتد إلى كل مناحي حياتنا، لم يعد لدينا مسرح أو سينما أو بحث علمي أو تعليم لدينا فقط مهرجانات وصندوق أكاذيب... لم تعد لدينا صناعة أو زراعة أو صحة أو عدل، تقضى الفساد والنهب ومن يعترض يتعرض للامتهان والضرب والتعذيب.

انتزعت القلة المستغلة الروح منا، الواقع مرعب. وفي ظل هذا الواقع لا يستطيع الكاتب أن يغمض عينيه أو يصمت. لا يستطيع أن يتخلى عن مسؤوليته. لن أطالبكم بإصدار بيان يستنكر ويشجب، فلم يعد هذا يجدي، لن أطالبكم بشيء فأنتم أدري متي بما يجب عمله. كل ما أستطيعه هو أن أشكر مرة أخرى أساتذتي الأجلاء الذين شرفوني باختيارهم للجائزة، وأعلن اعتزازي عن عدم قبولها لأنها صادرة عن حكومة لا تملك - في نظري - مصداقية منحها وشكرها.

صنع الله إبراهيم
٢٠٠٣/١٠/٢٥

قنبلة صنع الله إبراهيم

... تأثيرات واسعة
وأفعال محدودة

القاهرة - خاص بالهدف

اصدقاء صنع الله إبراهيم التي تلقت عبر شبكة الإنترنت مئات التوقيعات حدث أن عقدت اجتماعاً واحداً في مقر اتحاد الكتاب اتفق خلاله على بعض الإجراءات وتأجل الاجتماع إلى ما بعد عيد الفطر. باختصار يخشى الكثيرون من أن يتحول الأمر كله إلى مجرد احتفالية بالرجل وينتهي كل شيء بعد ذلك، ويستندون في خشيتهم إلى حالة الضعف العام التي تعترى الحركة السياسية (والثقافية أيضاً) المنظمة والقادرة على توجيه طاقات الغضب والرفض الكامنة في النفوس والتي تتزايد بصورة شبه مستمرة لكن دون تنظيم أو توجيه، وهو ما يهدد الهبة الأخيرة التي فجرها موقف الأديب الروائي صنع الله إبراهيم.

ثم يلاحظ هؤلاء أنه رغم أن شظايا قنبلة صنع الله لم تقف عند حدود الأدب والثقافة، بل امتدت لتشمل مختلف مناحي الحياة في مصر من تعليم وعلاج وصناعة وزراعة وتقضى الفساد والنهب فضلاً عن غياب الديمقراطية، ورغم أن هذه الشظايا قد لمست بالفعل هموم ومشاكل وأزمات المواطنين المصري العادي، إلا أن ردود الفعل بقيت محصورة ومحاصرة في أوساط النخب الثقافية والسياسية، وهو الداء الذي لم تزل تعاني منه معظم التكوينات السياسية والثقافية الموجودة بالفعل أو تلك التي تفرزها أحداث يعينها، والذي يظهر في شكل أعمال موسمية ونشاطات مرتبطة بحدث ثم سرعان ما تتراجع وتختفي أو تكاد مع انتهاء الموسم أو بانتظار حدث جديد.

ومع ذلك فلم يزل الأمل في فعل ما قائماً، ليس فقط بحكم ازدياد حجم الغضب في الصدور، لكن أيضاً لأن كثيرين بدؤوا يتنبهون لظاهرة العمل الموسمي والنخبوي ويحذرون منها ويبحثون لها عن حل. لكن أيضاً لأن ثمة جهوداً حثيثة يبذلها عدد من الأديباء والمهتمين بقضايا العمل العام من أجل تحقيق الاستثمار الأفضل لقنبلة صنع الله، وهو ما سوف تكشف الأيام القادمة، وفي أعقاب عطلة عيد الفطر مباشرة، عن نتائجه وجدوا.



تلك كانت «قنبلة» الروائي الأديب صنع الله إبراهيم، حسب تسمية بعض الصحف المصرية، التي فجرها ليس فقط في وجه المؤسسة الثقافية الرسمية أو حتى في وجه نظام الحكم، لكن أيضاً في الأوساط الثقافية المصرية، التي بدا في الأونة الأخيرة وكأنها أصيبت بحالة من الشلل، أو اقتربت كثيراً من ذلك، وبما يأت معه من المتاح للوزير الفنان فاروق حسني أن يتباهى بأنه أدخل المثقفين المصريين إلى حظيرته!! فكان أن جاءت «قنبلة صنع الله»، لتكشف عن واقع آخر مغاير تماماً لما هو باد على السطح. وإن كان قد وقف حتى الآن عند حدود ردود الفعل الاحتفالية والمؤيدة بالكلام والبيانات.

ذلك أن «قنبلة» صنع الله أحدثت حالة من الصحو في الأوساط الثقافية المصرية، تبدت أولى وأهم مظاهرها في ذلك التأييد الواسع لموقفه من معظم النخبة الثقافية والسياسية المصرية التي ذهبت إلى حد اعتبار أن صنع الله عكس ما في داخلها وعبر عما تريد أن تقول، مثلما جاء في البيان الأول الذي أصدره المثقفون المصريون وحمل توقيعات كثيرين من رموز العمل السياسي المصري مثل أحمد نبيل الهلالي وكمال خليل وأمين

أسكندر وآخرين ممن لا يمكن إدراجهم في خانة المثقفين بمعنى الأديباء أو الشعراء مثلاً. ثم كان أن يبادر الدكتور سيد البحراوي بالإعلان عن تأسيس جماعة اصدقاء صنع الله إبراهيم التي حظيت بدورها بتأييد أقل ما يقال عنه أنه كاسح. بيد أن الأمور سرعان ما بدا وكأنها في طريقها من جديد إلى الركود، وأن وهج قنبلة صنع الله بدأ يخبو. ثم انقضى شهر نوفمبر الماضي دون أن يعقد المؤتمر الذي كان المثقفون قد اعلنوا عن انعقاده خلال ذلك الشهر ودون حتى أن تجري أية تحضيرات له، وجماعة



أوراق لفلسطين:

الأديبة هدى حنا
ثملته شظايا الخاكرة.. وثزفت الخير!

بقلب مضغ بالحيوية والحب والأمل، قرأت الأديبة الفلسطينية هدى حنا في أمسية أدبية في المركز الثقافي العربي بدمشق بعضاً من نضجات روحها المسكونة بحب فلسطين، فكانت وهي ابنة الثمانين، بإصرارها العنيد وإيمانها العميق بالنصر، وتحرير فلسطين والعودة، لأنها تغسل ما خلفته السنون من أوجاع في ثنايا الروح وتعيد الأمل، وتضمد الجراح، وتفتح نافذة على الأفق.

تقول الأديبة حنا: مرة أخرى لا تزال الجراح الدامية تترقب، وأمسياتنا تثن بالحزن.. واني لأمل أن تتحول هذه الأمسيات، أمسيات فرح يوم ندحر الأعداء المغتصبين، وتعود فلسطين حرة عربية.

عاهدت نفسي أن أكرس حياتي كلها للكفاح بسلاحي: قلبي ولساني، وبقطرات من دماء جراحي النازقة، كتبت شيئاً من آلام شعبي وعذاباته في كتاب أسميته «صوت الملاحي» ليبقى في ذاكرة الأجيال اللاحقة مثلاً لما عاناه شعبنا على أيدي الصهاينة المجرمين.

قلبي.. يا إخوتي الذي كان مضغماً بالحب ينثره خالصاً سامياً أينما كان، قد بدلته الأيام، وغرست مكانه الحقد الرهيب يوم اقتحم الصهاينة علينا ديارنا بمساعدة الغرباء وسلاحهم، ليحققوا ما أرادوا بالقتل والمجازر المرعبة، لقد استبد الحقد بهذا القلب حتى تصجر بركاناً ثائراً لم يهدأ بعد، حين انحاز العالم علانية للباطل، وحاد عن الحق، وحين أقرت هيئة الأمم للصهاينة الدخلاء، إقامة دولة شرعية على أرض فلسطين المغتصبة، كأنها أقرت في تلك اللحظة قتل شعب فلسطين وحرقة وتشريد..

كم تميتت لو أن ذلك الوشاح الأزرق البعيد، الذي يلف عالمنا، يقترب مني قليلاً، فتطاله يدي لأمسح عن وجهه ذلك الغموض، لتعلي أري وراءه عالماً آخر غير عالمنا هذا، عالماً أكثر عدلاً وصدقاً وحياً للحق.

منذ لك الحين لم يعد يعينني طلوع صبح، أو مجئ مساء.. ويات النهار والشمس والليل

إلى أشجاره الخضراء.. وأتذكر بضع أبيات من قصيدة ابن الرامة الشاعر نيقولا حنا رحمه الله، حين قال الشاعر:

دار برامة مشغوف بها القلب
ودعت فيها الصفا مذ فرق الهجر
تلوح والبعض مرثي لناظره
والبعض تحجبه أشجارها الخضسر
وكانها ما بين مرثي ومحتجب
وجه المليحة غطى بعضه الشعر

ثم التفت حولي لأرى أهلي وناسي، أبكي دموع الفراق، دموع الشوق، دموع الفرح، العظيم. ويعد أن أجيل الطرف بين مروج الزيتون الخضراء، أتجول قليلاً، حتى أصل إلى زيتون أبي وأمي، وهناك عند زيتونة وارفة الظلال أتوقف أنظر إليها بحنين، أحضر على جذعها اسمي ثم استلقي على ترابها، أتأملها، أتهد، ثم أغمض عيني، لأرتاح حيث أردت أن يكون مثوأي الأخير.

وأنت أيها القدر كفاك عبثاً بنا، وكفانا نلقتي على كتفيك تخاذلنا، تخاذلاً نبرره بضعفنا أمام بطش عدونا، وإذا كنا ضعفاء حقاً، فلماذا تمر السنون تلو السنين، دون أن نحاول تضادي هذا الضعف، خمسة وخمسون عاماً مررت على اغتصاب القلب المقدس من هذا الوطن الكبير، والعدو يزداد قوة وشراسة، ولم يكتف بما من أرضنا كسب، فالتهم الجولان من وطننا سورية، وها هو يسارع إلى العراق الشقيق لينضم إلى رأس الأفعى التي باتت تنفض سمومها القاتلة هنا وهناك وأينما يحلو لها، ونحن لا نحرك ساكناً، ننظر من شرفاتنا نتفرج، ووسائل القوة لا شك بين أيدينا.

فلماذا إذا تجتمع القمة، التي تضع بين كفيها مصائرنا؟ إني لأسأله إذا كان بينكم من يعرف لماذا، فليخبرني، لأنني في الواقع لا أعرف، وكل ما أعرفه أنهم لم يخرجوا مرة من اجتماعات القمة متحدين، ليشكلوا القوة التي تقف سداً متيناً في وجه كل من يحاول انتهاك حرمة ديارنا.

ماذا حل بأممتنا العربية؟ ماذا حل بالشيم العربية؟ لقد بح صوتي وأنا أنادي يا قومي، يا أهلي وناسي، أهلكم في فلسطين على أيدي الصهاينة يقتلون، أبناؤكم في وطنكم يذبحون، يعذبون، يشردون، ولكن.. ولكن.. في صدري غصة يا إخوتي.. وفي فمي ماء...

فما لسيوف العرب في أعمادها قد صدأت!! وعهدي بها مشرعة كانت لا تقعد. ما لي أراها اليوم قد استبدلت بأغصان زيتون تحنني، تستجدي من الصهاينة السلام، وتعد التطبيع والوثام، وتبارك لهم بما اغتصبوا من فلسطين

دولة على مدى السنين. متى كان من شيم العرب الاستجداء، منذ متى كان من عاداتهم الانحناء؟ لست أدري، أي سلام هو هذا الذي يطمس معالم فلسطين؟ أي سلام هذا الذي يبارك لعدونا بما من أرضنا اغتصب؟ لست أدري أي سلام!

ألا فليعدرنني السيد المسيح رسول المحبة والسلام، إذا كنت أردت قول الشاعر الرامي رحمه الله حين قال:

لا حل يرجى بالسلام وإنما
تؤتى الحلول بشفرة الصمصام
قل لي بريك يا أخي، لقد ضقت ذرعاً، أعرب هي تلك الحكومات التي تقدم مثل هذه التنازلات، مثل تلك القرارات المهنية أم دخلاء؟

ألا فلتشل يدي إن كنت أمدتها إلى عدونا الهمجى المغتصب أصافحه، لا كنت ولا كانت يدي إن فعلت.

والآن عنرا يا إخوتي وأخواتي، إذا كنت سأعود بكم في قصتي التي سأقدمها هذا المساء، إلى الماضي المر، الماضي المستمر، الماضي الذي لم ينته بعد، ودماء أهلنا وأبنائنا النقية التي تسفح كل يوم على أيدي الصهاينة المجرمين، لهي امتداد لذلك الماضي، الماضي الذي غيبه الآخرون في طيات النسيان، فتناسوا عذابات شعبنا وآلامه، تناسوا شهداءنا، تناسوا مشرديننا، تناسوا اغتصاب القسم الأكبر من بلادنا، وراح كل ذلك بلا ثمن، حين عقد أولئك الصلح مع الصهاينة المغتصبين، واعترفوا بدولتهم المصطنعة، دولة على أرضنا ودنيانا، ورفعوا الراية البيضاء، واستسلموا للذل والمهانة.

ألا فلتتمزق كل الرايات البيض، وليختف زهر الفل والياسمين، وليضن اللون الأبيض من الوجود، ولتتفزع شقائق النعمان، مادامت بلادي سليبة يتربع على ترابها الأعداء.

ألا بنس عالم يطعن الحق في الصميم، ويرفع علم الباطل فخوراً.

فيا أخي في الجرح لا تسلتي عن ألمي.. وهل يسأل عن الألم الجريح حسبت كفاحي قد يشقى جراحي.. وما كنت أدري ما في الخفاء يجري وإذا بسيف السلم يهوى على كفاحي ويتركني بلا حراك.

فهل يا أخي لديك دواء يحيي الذبيح؟

الأغنية المقاومة.. أغنية فلسطين

فيروز الناجي

وبعض الأجساد
وبقيت الجفرا وظريف الطول حاضرة
حضور الوطن والمقاومة فيها:
ويا ظريف الطول وعم يضرب حجر
ويبدووا سكين ومقلاع وحجر
واضرب يا ظريف ولا تهاب الخطر
صوتك يا الشهيد دوم بقلوبنا
وحكايا الحادي كان لصوتها صداد الجميل:
قال الحادي وخير القول يحكي أخبار الفدائية
قصة عشق الأرض فصول شهدا نسور وجهادية
يا فلسطين النصر أكيد بكرة جاي بالتأكد
كل الشعب إيد بإيد إسلام ومسيحية
والجفرا للوطن تزف الشهداء:

جفرا ويا هالربع
ربع الجهادية
يا ريعي زفوني
أرضي أنا عيوني

لقد استطاعت الأغنية أن تقول ميزات شعب
أسطوري الإرادة والانتماء، فكان الرفض للذل
والاحتلال من خلال أغنية ربما لا نبالغ لو قلنا
بأن الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني
والعربي يرددونها:

يما.. مويل الهوا يما مويليا
ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا

ولم يتغير هذا التحدي في الجديد من
الأغاني بل ازداد إصراراً حين نسمع:

موت أرحم
ولا يحكمنا الظلم

في تاريخ قريب لولادة هؤلاء الزهور الذين
كانوا يرددون الأغاني مع الفرق المشاركة كانت
أسطورة بيروت، فغنى هؤلاء الشباب ويصوت
واحد تراقفهم الفرقة وموسيقاها، وكانهم
خاضوا المعركة مع أبطالها:

أشهد يا عالم علينا وع بيروت
أشهد للحرب الشعبية
ولما طلعتنا ودعناك يا بيروت
وسلاخنا شارة حرية..

لا راية بيضا رفعتنا يا بيروت
ولا طلعتنا بهامة محنية

وتبقى الثورة هي النار المتقدة في قلوب كل
شباب وشابات فلسطين لا يتوانون عن تقديم
أرواحهم من أجلها، وتنتقل طوعاً كجزء من
ثقافة أطفالها:

هبت النار والبارود غنى
أطلب شباب يا وطن واتمنى
لقد غنت الفرق الثلاث وأصوات كانت تتمنى
أن تصل لكل أصداع الأرض ليدرك العالم حقيقة
ما يحدث، وليتعرفوا على انتفاضة شعب قرر
ومند زمن بعيد أنه شعب واحد لن يتجزأ:
عام وعامين وزيد
الحيل عالجران
والشعب إيد بإيد
خ يكمل المشوار
يسقط شهيد اليوم
طلع وراه ألفين
ولأن الأغنية الفلسطينية مترابطة ولها
الهدف ذاته عند كل من يغني لفلسطين صدحت
أغنية:

جفرا ويا هالربع
شعبي واحد لا شعيبين
المسيحي مع المسلم
دم واحد في العرقين
لو تنزل أرض بلاد
تلاقي الشعب عالصفين
شايل دمه عا كفه
وما يهاب المنية

إذا هي الأغنية الفلسطينية التي كادت أن
ترتقي في تأثيرها إلى مستوى البندقية، فقد
كانت وما زالت قادرة على خلق مشاعر الغضب
والحماسة وقادرة على إضافة الحطب إلى الثورة
لتبقى متقدة في قلوب كل أبناء الوطن.



واستطاعت أن ترسم صورة تنطق بصوت الشعب
الفلسطيني وإرادته وموقفه من الاحتلال
والخيانة:
يا شعبي ثور بهالوطن وسلاحك الحجار
لا تنتظر عون المدد من حاكم سمسار
باع الكرامة والشرف يا حيف نسيها
ورسمت بالكلمات الإرهاب الصهيوني
الأمريكي، ضد شعبنا:

انظر التدمير في كل مكان
انظر الأحياء من تحت الخراب
والدم الجاري على أرض جنين
صبغت حمرة زهر الروابي
كل طفل في فلسطين جريح
وغدا عيشه رهنا بالعذاب:
سكنت أناته رحم السواقي
وعلت صرخاته كل الهضاب
باختصار... كانت الأغنية
الفلسطينية وما زالت قادرة على أن
ترسم الخط السياسي الذي يتبعه
شعبنا ويصر عليه، وهو الانتفاضة
والمقاومة ضد الاحتلال، وقد كانت
بمناخ المؤرخ الحقيقي لنضالات
شعبنا وبطولاته، وذلك من خلال
مجموعات من شبابه وشبابه
يملكون صوتاً وموسيقى وكلمات
تسعى لأن تعبر عما يريدون، ولأن
الجميع يبحث عن وسيلة لياضل من
خلالها، اختار هؤلاء الشباب أن
يكرسوا موهبتهم ليقولوا الوطن،
بكلمات وموسيقى دائماً تحاول أن



ترتقي لحجم قضيتنا، وعظمة شعبنا، فكل
الكلمات لن تستطيع أن تعطي هذا الشعب حقه،
سواء في جنين وغزة ونابلس ورام الله والبيرة
وكل مخيمات شعبنا، أو أولئك القابعين في
سجون الاحتلال، وبالتالي الأصعب حين تريد
أن تغني للشهداء الذين لقدسيتهم رهبة تجعلك
تفكر ألف مرة قبل أن تتحدث عنهم خوفاً من
ألا تعطيلهم حقهم من الإكبار.

مع كل هذا حاولت الفرق الفلسطينية
الثلاث، وبما تمتلكه من وسائل بسيطة أن تقوم
بدورها، لتبقى الأغنية الفلسطينية مستمرة...
من بلاطة والجلزون
شعبي مش ممكن يهون
جايين جاييين يا شارون
جايينك لوسط البيت
من الطيرة والطنطورة
ومن غزة والمنصورة
راح بنخلي الدم بحورا
والجمام فتافيت
بقي كلمة لا بد من قولها...

إنهم يحاولون ومؤمنون بما يقومون به، وكان
واضحا من خلال المهرجان تأثير الأغنية
وصداها...

فهل يغضب أحد لو قلنا بأنهم يحتاجون
لرعاية والاهتمام بهم، ليكونوا قادرين على
الاستمرار والتطور، لتبقى الأغنية الفلسطينية
محافظلة على هويتها التي رسمتها منذ البداية،
ولتستطيع مواجهة ثقافة العولمة والسلام
المدعى، كونها جزء مهم من التعبير عن ثقافتنا
الوطنية المقاومة؟؟

عرض فايز قزق - AB «أ ب سلبى»

«ارتجال مسرحي» يفارب هموم الفاع الشعبي

تظهر علامات التفكك
والتشتت واضحة على
مجموعة شخصيات تدخل
بهو مشفى «فضاء المكان
المسرحي» حاملة جسد
شخص مريض في حالة
خطيرة، وهؤلاء، يختلفون
حتى على الطريق الذي
عليهم أن يسلكوه لنقل
المريض إلى غرفة العمليات،
فكل واحد منهم راح يشده
باتجاه، ويصرخ بأعلى صوته
ليقنع الآخرين برأيه في
حالة من الفوضى والتدافع
وعدم الانسجام، التي تحيل
إلى المعنى الرمزي لهذه
الحالة، خاصة حينما
نكتشف أن المريض هو
«الأب» وهؤلاء الأشخاص هم
أولاده وبناته وزوجاتهم
وأزواجهن.

دمشق - علي الكردي



الذي يعتبر سمة أساسية من سمات
الارتجال المسرحي.

إمعاناً بالمفارقة، تتناقض
أفعال الشخصيات مع فضاء
المكان «مشفى» الذي يتحول إلى
فضاء مجازي تبرز من خلاله
التناقضات بين الشخصيات
وصراعاتها الدرامية، فالابن الأكبر
إسماعيل «جمال سلوم» أستاذ
جامعي غارق في مشاكله ومشاكل
التدريس، وتنطوي هيئته
الخارجية «ملايسه وأسلوب حديثه»
على مفارقة مبالغ بها، تتناقض مع
موقعه الاجتماعي المرموق، ولا
تعكس كونه رجل علم ومعرفة، في
حين أن الابن الآخر إبراهيم «أسامة
جلال» يظهر كشخصية انتهازية،
تلمح منذ البداية إلى وصية الأب
له بأن لا يفرض بممتلكات العائلة
في إشارة إلى رغبته بالاستحواذ
على الميراث في حال الرحيل
المتوقع للأب، مما يثير ردود أفعال
سلبية لدى الآخرين، حتى أن
زوجته سلاف «أناهيد فياض»
تستنكر طمعه، لكن موقفها يتغير
حينما تظهر أطماع الآخرين، وتبرز
لزوجها موقفه، كونه الوحيد الذي
يتحمل أعباء العمل مع والده، وما
ينجم عنه من ضغوطات نفسية
 واجتماعية، لا سيما وأن ابنتهما
مريض ويحتاج إلى معالجة.

من جهة أخرى تظهر
السلوكيات النفسية غير السوية
للابن الآخر «مسلم»، «سعد النفري»
التي تنعكس سلباً على علاقته
الزوجية وتهدها بالانهيار.

هذا التمزق والتفكك ينسحب
أيضاً على أوضاع البنات، الابنة
فلك «رغد مخلوف» تعيش هي
الأخرى علاقة غير مستقرة مع
زوجها «جابر الجوخدار» الذي لا
يكثر لها لأنه غارق في حساباته
المالية وعلاقاته النسائية
المشبوحة، بينما الابنة الأخرى
ليلى «ميرنا زينون» ورغم أنها
خريجة جامعية، ومتفانية في
سبيل الحفاظ على أسرته، إلا أن
زوجها الأصولي المتعصب،
والعاقل عن العمل، يفرض عليها

تكوينهم المسرحي على بلورة
خطوط العرض ومقاربة عوالم
الشخصيات، باستخدام اللهجة
العامية «المحكية»، التي تعود
مرجعياتها إلى القاع الشعبي
للمجتمع السوري بكل تنوعاته،
وذلك كوسيلة للإضحاك والمبالغة
في الأداء المشهدي والحركي،

اختار المخرج الفنان
فايز قزق لعرضه AB «أ
ب سلبى» على خشبة
المسرح الدائري للمعهد العالي
للفنون المسرحية بدمشق أسلوب
«الارتجال المسرحي» لمقاربة
موضوعه، بمشاركة أكثر من
عشرين طالباً، اشتغلوا في إطار



ترك وظيفتها، مما يضطرها إلى بيع أثاث البيت كي تآكل هي وأطفالها، ويصل بها الأمر إلى الطلاق، لأنه يرفض عودتها إلى العمل.

تري الابنة الأخرى لبني «ديانا» فاعور، الخلاص بالهجرة إلى فرنسا، التي طالما حلمت بالسفر إليها، لذلك تزوجت من شخص ليس له ميزة سوى أنه يشبه الفرنسيين بشكله وسلوكه ولباسه، لكنها تصعق حينما تكتشف ميله النفسي غير السوي للنساء المتقدمات في السن، وهناك أيضاً شخصية الابنة وجيهة «نسرين هندي» التي شردت مع رجل تحبه، لكنه تخلى عنها مما اضطرها إلى العودة منكسرة لبيت العائلة لتعيش مغلوطة في كنفها، أما الابن الأصغر فهو فاشل دراسياً، لكنه رغم فشله وضياعه كان يراقب سلوك أخوته وأطماعهم ويكتشف نوازعهم وكان في سلوكه وخطابه أكثر توازناً وانسجاماً مع نفسه من الجميع.

شكل المخرج قزق من هذه الخلطة المتشابكة بشخصياتها وأحداثها بنية مشتركة، ربط بين خيوطها من خلال المنولوجات التي أفسحت مساحة لكل شخصية

مشاركات سورية في مهرجانات مسرحية دولية

شاركت سورية بثلاثة عروض مسرحية في مهرجانين مسرحيين دوليين في كل من إسبانيا وإيران، حيث تتوجه أسرة مسرحية «كونشيرتو» للمشاركة في مهرجان المسرح العربي في إسبانيا الذي بدأت فعالياته في ١٨ تشرين الثاني/ أكتوبر الماضي إلى جانب عروض من دول عربية أخرى. العرض من إخراج: ماهر صليبي الذي كتب النص مع موفق مسعود، وتمثيل: جهاد عبدو، محمد حدادي، رنا جمول، سوسن علي.

ويشارك عرض «عالم صغير» في مهرجان طهران المسرحي (مهرجان زيمين) في السادس من الشهر الحالي، والعرض هو مونودراما تمثيل: حسام الشاه، من تأليف وإخراج: نوار بلبيل.

كذلك تشارك مسرحية «الديك» في عروض نفس المهرجان وهي عمل مميز لاقى نجاحاً كبيراً أثناء عرضه في دمشق، من تأليف وإخراج الفنان طلال نصر الدين، تمثيل: زيناتي قدسية وقاسم ملحو.



كغرفة انتظار أحياناً، وغرفة عمليات أحياناً أخرى بالإضافة لبعض الأنساق الإعلامية، كالستائر البيضاء التي استخدمها لفصل الفضاء الداخلي للمشفى عن فضاءه الخارجي، والستائر السوداء التي حولتها وظيفياً كملاءة سوداء تتدثر بها الممثلات في أكثر من مشهد ليثبت علامات ذات عالم الذكورة وعالم الأنوثة، وتارة للتعبير عن معاناة المرأة وقهرها «مشهد المرأة الحامل»، كذلك حاول التنويع على النسق



الخروج من مازق النوسان بين الأبعاد الكوميديّة والأبعاد المشحونة للشخصيات، كي تتوضح مقولة العرض التي تقضي في بعدها الرمزي إلى أن ظهور التفكك والتشتت العائلي أمام أول بوادر ضعف سلطة الأب «المريض»، ستؤدي في حال رحيله المنتظر، إلى صراعات دامية على السلطة والثروة، بما تحمله هذه الدلالة من إمكانية لأكثر من إسقاط وتأويل، يتجاوز حدود العائلة إلى المجتمع برمته الذي يعاني حالة شبيهة من التمزق والانفلات.

«حنين العناصر» لعائشة أرناؤوط

النظير بذلياً الكذابة النائية

سعيد البرغوثي

تقول الشاعرة في أحد مقاطع قصيدة هلام المتاهة:
الحنين إلى الدهشة
يموت في الأحشاء
العبير الذهبي ينكمش في البؤبؤ
أحاول التمسك بظلي
كي لا أنهار

هكذا تأتي قصائد الديوان دون فصل بين ما هو ذاتي وبين ما هو عام.. إنها تكتب عن مشاشة الذبيحة ونزيف الجداول، عن ترمد الأشجار وتصدع القلب، مروراً بهوس العظماء إلى خضوع الرعايا.. وهي إذ تعبر عن هذه المهوي بالشعر، وفي معاناتها التي أنتجت هذا الشعر المكتوب بماء القلب، فإنها تحاول الوصول إلى ذاتها بسلام.. وكان شاعرنا على يقين أن الكتابة في معظم أوقاتها تكون طوق نجاة ويز أمان أمام تقلب أحوال الزمان ووحشة المكان اللذين يجعلان أصحاب الكلمة الصادقة يوغلون في عصرنا معصوبي القلب لا يدرون على وجه اليقين إلى أين تقودهم الأحوال.. ولنقرأ هذا المقطع ولننظر إلى أين يقودنا وما هي المفاتيح التي يمنحنا لقراءته جيداً.. تقول

عائشة أرناؤوط:
تحسّر الأحلام في هلام المتاهة
بحثت عن آخر جنتي ولم أجدها
أفاوض للحلول في البديل
ولا أعرف من الغابات إلا الحريق
من الينابيع إلا الجفاف
من العصور إلا رماد المستحاثات
الا ينتمي هذا الشعر بامتياز
إلى ما اصطلاح نقدياً على تسميته
بـ «شعر التجربة».. فديوان «حنين العناصر» إذا ما قرأ بعناية سيعطينا مثلاً جيداً على الشعر الذي يرتبط بالذات والعالم، فضيه

هذه لحظات تجل لا تكاد تغيب عن مجمل الديوان، وبهذا تحقق الشاعرة شرطاً أساسياً من شروط شعر التجربة.. فمن خلال لحظات التجلي ينتقل الشاعر والقارئ على حد سواء إلى مجال التحول الكلي العاكس لرؤيا شاملة هي خلاصة تجربة الشاعر في الشعر وفي الحياة، في سياق لا يعترف إلا بالتطور والتأثير الجديد الذي تخلفه القصيدة على مزاج وعقل المتلقي والكاتب..

تقول الشاعرة:

لا شيء يدهشني

سوى تلك الأقحوانة الفضة

في ابتسامة لا تكتمل

نلاحظ في هذا المقطع القدرة على دمج الباطن بالظاهر، المحسوس بالمجرد، الروحي بما هو مادي، والمعرفة بالحدس، وكل ذلك لكشف أسرار التاريخ والروح كشفاً عياناً لا سبيل إلى البرهان عليه أو قبوله إلا بعناصر الوجدان لا بصرامة العقل..

الديوان بحسب الشكل الفني، من قصيدة النثر.. وإذا كان جل ما يكتب بهذا النوع الشعري لا ينتمي إلى الشعر الصافي نظراً لما فيه من استسهال وهذر ومجانبة، إلا أن «حنين العناصر» بما فيه من عنوية وصور مكثفة ومضردات وجمل يجري تشكيلها بدقة ورقة الشعر العالي تثبت عكس ذلك.. فمعضلة الشعر، وأزمته التي يكثر الحديث والخلاف حولها، لا ترتبط بالشكل الشعري، بل بمقدار موهبة هذا الشاعر أو ذلك، واجتهاده كي يستطيع الوصول بشعره إلى مراحل متقدمة من النضج..

وخلاصة القول أن قصيدة النثر، وإن كانت قدمت نماذج رديئة ممن وجدوا فيها مركباً سهلاً للشهرة والإبداع، إلا أنها لا تكف عن عطاء الأدب الجيد بأقلام مثل

عائشة أرناؤوط، التي يجب أن ينظر إلى إبداعها باحترام، كما نظرنا سابقاً إلى تجارب محمد الماغوط، أنسي الحاج وسواهما من رواد قصيدة النثر العرب..



يختلط الماضي والحاضر، الآتي والأبدي، فيبدو الزمان برهة ثابتة يجري التجوال خلالها للخروج من رقابة الزمان المكثف وعديم الحركة. يتم كل ذلك في رحاب الوجدان الذي يعرف كيف يتقرب الجمال، وكيف يرى في القبح كل أسباب وموجبات رفضاً له.. ومن دون هذا الوجدان اليقظ، والعارف أن الشعر هو مرآة الروح الحساسة وماء القلب، يخسر الشاعر الكثير من قدرته على الإقناع والإدهاش.. وهنا بالذات سز الإبداع الحقيقي الذي نراه ساطعاً في قصائد الشاعرة أرناؤوط..

في «حنين العناصر» نقرأ قصائد مشحونة بالانفعالات الصادقة والمتصاعدة حتى ذروة اكتمالها، وهذه الخاصية تضفي على القصائد حالة من المهابة والديمومة والقدرة على اختراق ذاكرة القارئ ووجدانه بسهولة ويسر رغم عنف التناول وغرابة الصور والرموز المكثفة والعميقة المبتوثة في ثنايا الديوان..

ضاققت عليك الأماكن الفسيحة
فلجأت إلى ميسم القلب
أريكتك الأزمان بتوزعها
فالتأمت بتوافق الأمواج
ماذا ستعلمين لإخفاء تجاعيد الأفق؟

سيل الشاشة في المسلسلات الرضائية

إذ لم يحقق العمل الفني، أو الأدبي المتعة والفائدة المرجوة منه، فعلى الله السلام.

يمكن لبعض أن يتساهل في مسألة «الفائدة»، لكن «المتعة» شرط لا يمكن التنازل عنه، وإلا فقد العمل الفني جاذبيته التي تشكل جسر التواصل مع المتلقي. حتى القضايا النبيلة، إذا لم تقدم بقالب جذاب وممتع فلن تصل إلى الناس، بل ربما تلعب دوراً سلبياً، يشوش الأفكار ويسبب إلى الذائقة.

إذا استعرضنا بشكل سريع الأعمال الدرامية التي عرضت في رمضان المبارك، سنجد للأسف أن معظمها لم يحترم عقل المشاهد وذائقته، وتكاد الأعمال التي حققت تلك معادلة المتعة والفائدة تعد على الأصابع، رغم الكم الكبير من المسلسلات التي عرضت على مدار الساعة. إذ رغم نجومية الممثلين في أعمال مثل «العمة نور»، و«تعال نحلم بيكرة»، و«نجمة الجماهير»، إلا أنها كانت مفككة درامياً ومشوشة فكرياً، يغلب عليها طابع البهجة والديكورات الضخمة لكنها لم تقدم للمشاهد سوى القشور المستهلكة.

بينما نجح مثلاً مسلسل «الليل وأخره»، ففي تقديم دراما إنسانية محبوكة بطريقة مقنعة تألق خلالها نجم كبير كـيحيى الضخري.

المسلسلات السورية لم تكن أفضل حالاً.. «بقعة ضوء» تراجع عن مستواه و«عالم المكشوف» كان نسخة مكررة عنه، وغرقت المسلسلات التاريخية بالنمطية المعروفة، رغم خروج «الحجاج» عن هذا النسق، أما «ذكريات الزمن القادم» فقد جذب المشاهدين، إلا أنه لم يكن مقنعاً على مستوى بناء الشخصيات والسياق الدرامي الذي اعتراه الكثير من الضعف والتفكك!

أ | علي الكردي

السينما الصهيونية شاشة للتضليل

محمد عبيدو

السينما الصهيونية شاشة للتضليل

في إطار سلسلة المكتبة السينمائية التي تصدر عن دار كنعان للدراسات والنشر بدمشق، صدر حديثاً كتاب «السينما الصهيونية / شاشة للتضليل»، للناقد السينمائي محمد عبيدو، الذي يشير إلى اهتمام الحركة الصهيونية بالدور الحيوي للسينما منذ مؤتمرها الأول في بال عام ١٨٩٧، الذي انعقد بعد سنوات قليلة على ظهور هذا الاختراع، الذي انتبخت الحركة الصهيونية إلى أهمية دوره الإعلامي والدعائي الخطير، مما دفعها بعد المؤتمر بفترة وجيزة إلى التشديد على ضرورة استخدام السينما كوسيلة لنقل الفكر الصهيوني إلى اليهود أنفسهم وإلى الشعوب الأوروبية بشكل عام.

ولاحقاً، ومع احتدام الصراع العربي الصهيوني، وظفت الصهيونية السينما لتضليل الرأي العام العالمي بسلسلة من الأفلام التي حققها سينمائيون أوروبيون وأمريكيون طبقاً للتوجهات التي تتقاطع مع أهداف الصهيونية.

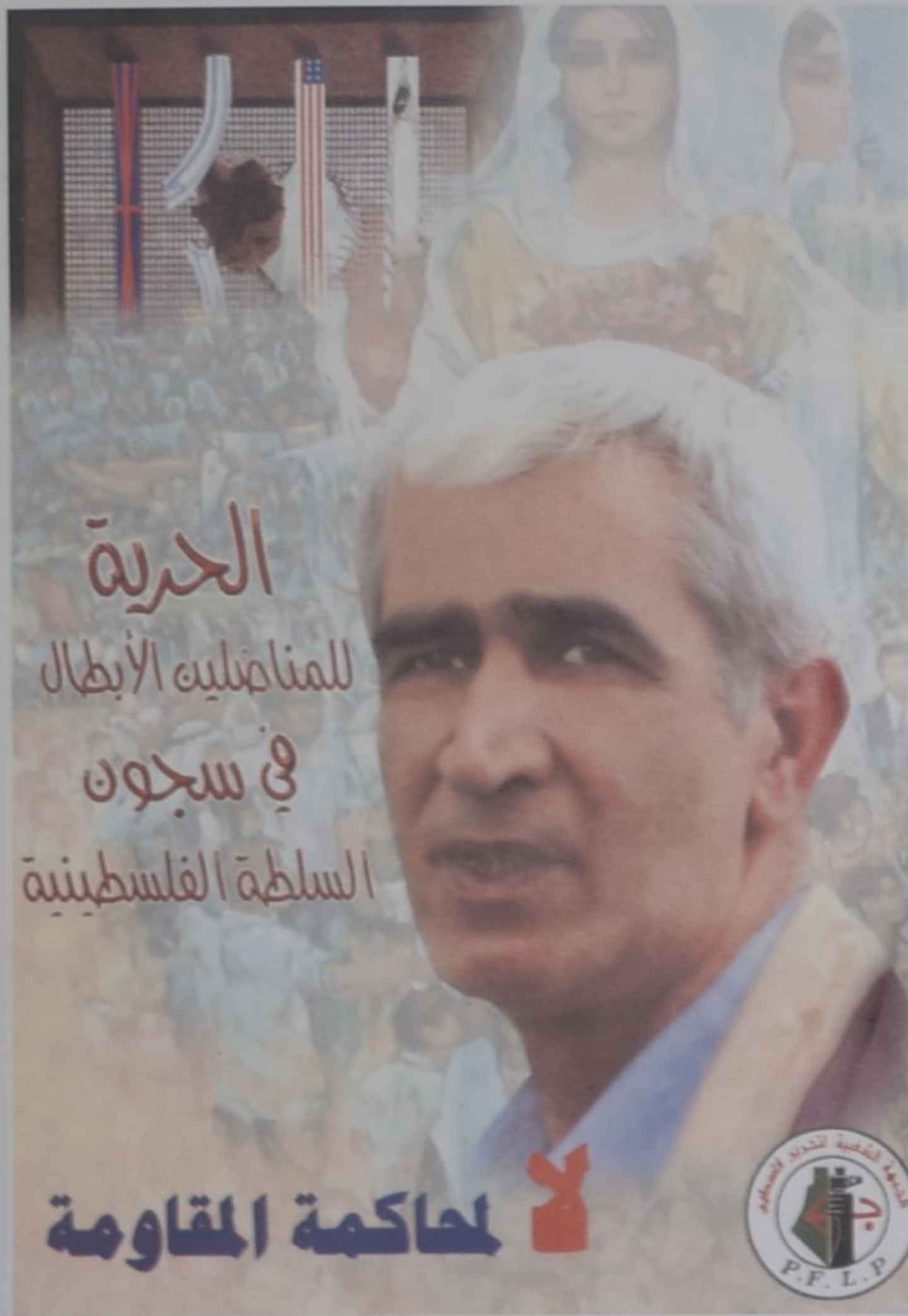
يسلط الكتاب الضوء بصورة موضوعية على هذه المسألة ليبيّن حجم الخداع والتضليل الذي مارسته السينما الصهيونية في تزييف الحقيقة وطمسها.

مشاركات واسعة في مهرجان دمشق السينمائي

بدأ العد العكسي مع اقتراب موعد انطلاق فعاليات مهرجان دمشق السينمائي، في السادس من كانون أول/يناير. وحسب تصريح الناقد السينمائي محمد الأحمد، مدير عام مؤسسة السينما، ورئيس المهرجان، فقد ثبتت العديد من الدول مشاركتها في مسابقة الأفلام الطويلة، ووصل عدد هذه الأفلام إلى ٢٣ فيلماً هي: «صباح الاثنين» من جورجيا، «سعادة غير معروضة» من الصين، ومن اليابان، «الملاك يستلقي على يميني» طاجكستان، «مدام برويت» السنغال، «وداعاً لينين».



الحرية لسجناء الحرية



المناضل عاهد أبو غلطة



المناضل باسل الأسمر



المناضل حمدي القرعان



المناضل مجدي الريماوي



في يوم التضامن

أحمد. م. جابر

هل تذكر يوم التضامن. يحيل سؤال البداية إلى الألم الفاجع والتكرار المأساوي والتذكر المرير لأيام كان فيها للأيام معنى وللشعارات أفق وللأحلام من يسندها. يبحث شعب فلسطين عبثاً عن التضامن ومعناه، فلا يجده إلا في سكوت مشبوه وتآمر لا يخجل ومشاريع تسعى لتكرار المذبحة.

في يوم التضامن مع شعب فلسطين، يبحث الفلسطيني عن دزاع تسند جريحا أو يد تمسح دموع أم فلا يجد إلا أسوارا تفتت الشمل وتمحو ما تبقى من ألق الحنون وصفاء الذاكرة.

قلنا سابقاً في نفس الزاوية وذات الذكرى أن المطلوب أكثر من أي وقت مضى هو أن يتضامن الفلسطيني مع نفسه مع حقه وحرية وكرامته المسفوحة ووجوده المهدهد، وهانحن نعيد التكرار، فلا بد أولاً أن نتضامن مع ذاتنا وللتضامن مع الذات شروطاً ومحددات قسرية لا يمكن القصر عنها بشعار ولا يمكن تعويضها بمهرجان خطابي.

أول الشروط إعادة الاعتبار للشعب ومكانته ودوره في اشتباك تاريخي ومفتوح مع عدو لا يرحم، هذا الاشتباك الذي يطالبنا باستنهاض كل طاقة ممكنة ومطاردة كل أفق متاح والسبيل إلى ذلك أولاً وقبل كل شيء أن نعيد للشعب قضيته ونكف عن عزله وحصاره وتهميشه ومعاملته كقاصر.

الشرط الثاني هو الالتفات الجدي إلى نقد الذات ومعرفة أوجه الخطأ والتقصير والفضل والإقرار بها كخطوة أولى نحو إعادة إطلاق استراتيجية استنهاض ومقاومة جديدة قادرة على التصدي لمعضلات المرحلة وقادرة على تشكيل رد تاريخي وحاسم على مشروع العدو ومحاولات إعادة إنتاجه وتسويقه.

وفي هذا السياق نتطلع ببعض أمل إلى الحوار الوطني الفلسطيني في القاهرة آمليين أن يكون خطوة حقيقية هذه المرة نحو إعادة ترتيب بيتنا ولملمة أشتاتنا وعودتنا إلى صراط الكفاح المستقيم من أجل فلسطين ومن أجل شعبنا وحقيقة وجودنا ومستقبلنا.

في هذا السياق أيضاً ننظر بريبة وحذر واستعداد إلى المسرحية الجديدة التي انطلقت في جنيف، على يد مجموعة اختارت أن تبعد عن الأمل شعبيها وأن تتناسى أن جوهر القضية هو الشعب اللاجئ وكمال السيادة والاستقلال، وأن ثورتنا في حقيقتها وبيداتها لم تكن إلا ثورة لاجئين، فظنوا وخاب ظنهم أنهم يستطيعون الكلام باسم المشردين والتنازل عن حقوقهم ببساطة تحت أضواء الكاميرات المبهرة في إعادة إنتاج بائسة من قبل الممثلين ذاتهم لمسرحية تافهة فشلت مراراً ومرات.



ولكن هناك أمل وهناك إرادة بالأمل، شعب فلسطين الذي يتألم الآن ويعض على جرحه لا يقبل الاستسلام والهزيمة ولعل هذه هي أساس معضلة العدو والمارقين على إرادة شعبهم على حد سواء، صحيح أن شعبنا يتعب كما هي طبيعة الناس والأشياء، وصحيح أننا صرنا نقول كفى لهذا العذاب وهذا القتل اليومي وهذه الإبادة المبرمجة والتدمير الوحشي كل هذا صحيح، وصحيح أننا نخسر وخسرنا الكثير في هذا الصراع المفتوح على أبواب التاريخ ولكن الصحيح أيضاً، والذي لا يجب أن يغيب على الإطلاق هو أن شعبنا لا يرضى الراحة بأي ثمن وأن هذا الشعب الذي دفع من التضحيات الكثير حتى أدمى وأرهق، إلا أنه مصر على الوصول إلى أفق الحرية والاستقلال، فلا تكون تضحياته رخيصة ولا دمه مجانياً، من أجل هذا كله يواصل شعبنا انتفاضته وصموده الباسل متحدياً قبل كل شيء أمله ومعاناته بالذات، بل متحدياً وغبته بالراحة كشعب طبيعي لأنه يدرك أن الراحة الحقيقية والسلام الحقيقي لا يكون إلا باستعادة الحقوق ولا يكون إلا بالكرامة وعيش الأحرار لا عيش العبيد ومن الذي يتجرأ على مجرد الحلم أن شعب فلسطين قد يرضى بأقل من حريته الكاملة.